الفهرس

صفحة

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز الدكتور أحمد أمين بك | الإدارة | رئيس التحرير المسئول محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٥٩٤ — الاثنين ٢٨ من رجب سنة ١٣٦٩ — ١٥ من مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثانية عشرة

على هامش «حيــاتى»

للأستاذ حسن جلال

خطفت نسختى من هذا الكتاب من يد الدكتور أحمد أمين بك قبل أن تمتد إليها يد غيرى من بقية الأصدقاء الحاضرين . وكان الأمل أن أفرغ من قراءتها فى ليلة واحدة ، ولكنه لازمنى عشرة أيام ، لأنى لم أكن (أزدرد) صفحاته وذكرياته ، بل كنت (ألوكها وألفظها) من بعد قراءتها . فأضعت كثيراً من الوقت فى هذه العملية . وعذرى فى هذا الأمر واضح : فإنى عشت فى جيل أحمد أمين ، وكنت أقرأ فى كتابه — فى كثير من مواضعه — تاريخ حياتى لا تاريخ حياته ...

« فالبيت القديم وسلطان الأب فيه » — لا يزال يطبع خلقى . « والحارات ذات البيوت التى يمدها السقاءون بالماء » — من بعض تجاربى . ومعارك (الفتوات) فى الأحياء الوطنية من الصور الخالدة التى انطبعت فى نفسى . والكتّاب ، وحصيره البالى ، وزيره الأسود الأخضر ، وشيخه المكفوف عادة ، وعصاه الطويلة ، وذلك السوار اللعين والآلة الشيطانية التى يحملها — كل أولئك من ذكريات الطفولة التى دمغت أعصابنا الغضة بطابعها الذى لا يُنسى . وطعم ما فى تلك (الطواجن) الأربعة الخضراء ما يزال عالقاً بنفسى كما لا يزال طعم (الفلقة) عالقاً بأعصابى — وهذا اعتراف خطير كنت فى غنى عن أن أبوح به كما كان (المؤلف) فى غنى كذلك عن أن يكتبه فى كتاب ! ولكن أستاذنا انسجم مع حوادث ماضيه فسجلها فى تلك الصراحة الحية التى عرفناها فيه — ثم قرأناها فأثارت شجوننا :

وذو الشوق القــديم وإن تعزى
مشوق حين يلقى العاشــقينا !

● ● ●

أقول إنى قضيت كل ذلك الوقت فى كتاب كان من حقه أن يقرأ فى جلسة واحدة لتسلسل أحداثه ولسلاسة روايته . وذلك لأن صوره الصادقة ألهتنى عن حاضرى ، وسحبتنى حبواً إلى جو ذلك الماضى المشرق الذى لا يمكن أن يستوعب كل ما فيه من جمال إلا من عاش فيه . ونحن الذين عاصرنا أحمد أمين بك تلذنا مطالعة « حياته » أكثر مما تلذ غيرنا من أبناء الجيل الجديد .

وسبب آخر يجعلنى أكثر ارتباطاً من غيرى بمحتويات هذا الكتاب . وذلك أنى كنت أرى نفسى فى كثير من

وسماته وصوره . فإنى فى الخمسة والعشرين سنة الأخيرة كنت على صلة مستمرة بأستاذنا لا يكاد ينقضى أسبوع تقريباً دون أن أراه . ولو كان هذا الكتاب (فيلماً) سينمائياً لظهرت فى كثير من مشاهده إلى جوار « الفتى الأول » ...

وفى ذكر هذا الحديث توجد مناسبة هامة كان يصح أن يشير إليها الدكتور فى كتابه ، ولكنه لم يفعل — وإن لم تكن هذه المناسبة هامة بالقياس إليه ، فإنها كانت هامة جداً بالقياس إلىّ ، وها أنا أرويها له اليوم بكل تفصيلاتها ، فإن كنت آثرت أن لا أقص عليه تلك التفصيلات فى حينها ...

***

فى صيف سنة ١٩٢٧ على ما أذكر عرضت للأستاذ مشكلة العمامة واستبدال الطربوش بها ، لأنه كان قد ترك القضاء الشرعى ، وعاد إلى التدريس ليكون مدرساً فى كلية الآداب بالجامعة ، فوجد نفسه فى بيئة جديدة بالنسبة إليه وكأنها عصبة أمم . فهنا الإنجليزى وهنا البلجيكى وهنا الألمانى وقليل من الأساتذة مصريون ، وليس فيهم معمم إلا أنا ... » ويستطرد الأستاذ فى بيان الأسباب التى حملته أخيراً على لبس الطربوش فيقول :

« وشجعنى على هذا ما كنت ألاقيه فى لبس العمامة من عناء . فعامة الناس فى مصر — وخاصة فى المدن — يجلون العمامة ظاهراً ولا يجلونها باطناً . ويوقرون الطربوش غالباً ويستخفون بالعمامة غالباً . وتتغلغل فى نفوسهم مبدأ مقرر ، وهو أن صاحب الطربوش يُحترم إلا إذا ظهر عكس ذلك ، وصاحب العمامة يُحتقر إلا إذا ظهر عكس ذلك ، وكم حدث لى من فصول كرهت من أجلها العمامة . ذهبت إلى فندق مرة فقال لى صاحبه ليس عندى مكان خال ، وإذا بطربوش يأتى بعدى فيخلق المكان . وأذهب مرة إلى مكتب البريد فأقف وأنا معمم أمام الشباك وقد أتى الطربوش بعدى ، فيقدمه رجل البريد علىّ ، ويجيب طلبه فأثور عليه ، وأطالبه بالعمل بالترتيب . وأتهيأ مرة لركوب الدرجة الأولى فى الترام فيقول لى الكمسارى : تعال هنا — مشيراً إلى الدرجة الثانية — فهذه الدرجة الأولى ! وأذهب مرة إلى كازينو فى ضاحية من ضواحى الإسكندرية ومعى صديق مطربش فيسمح له بالدخول ويمنعنى ، فأعود معه مكتئباً خجولاً . وهكذا وهكذا .

... فذهبت إلى الخياط ، وفصلت بذلتين ، واشتريت طربوشاً . وعدت إلى هذا النوع من اللباس بعد سبع وعشرين سنة منذ كنت تلميذاً فى مدرسة أم عباس . وقد كنت نسيت رباط الرقبة كيف يكون . فكنت ألجأ إلى من يربطه لى إلى أن تعلمته . وانتهزت فرصة افتتاح الدراسة فى العام الجديد ، فذهبت مطربشاً . وكنت أشعر فى مشيتى فى الشارع ، وفى الكلية خجلاً من الناس ... » .

وهنا — وفى هذا الوضع من حياة الأستاذ — يأتى دور من أدوارى الجميلة : فقد كنت فى ذلك الحين شاباً أزهرياً أحتفل بهندامى ، وأعنى برونق ثيابى ، ولم أكن تزوجت بعد ، ولكنى كنت خطبت عروسى وعقدت عليها — دون أن أراها طبعاً كعادة أهل ذلك الزمان — فلما زرتها بعد العقد ، وأمكننى أن أجالسها وأن أرى وجهها لأنها أصبحت زوجتى الشرعية ، رأت من باب الذوق والمجاملة أن ترد لى زيارتى فى بيتى الذى كنت أسكنه وحدى إذ ذاك ، ويقوم على خدمتى فيه فتى نوبى اسمه « حسن » كذلك . فحددت لى موعد الزيارة وأخطرتنى أنها ستحضر إلىّ مع أختها فى الساعة الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم . وشاءت المصادفات أن يكون نفس ذلك اليوم هو الذى حدده الأستاذ لاصطحابى إلى بائع القمصان الأفرنجية وأربطة الرقبة ليشترى منها ما يوائمه مستعيناً فى ذلك بذوقى الذى كان لا يزال يثق فيه حتى ذلك الحين . ولم أشأ أن أحدثه عن ظروفى الخاصة ، وعن ذلك « الموعد الرسمى » الذى حددته

في عروسي الزورق فيه زورتنا الأولى . ولكني قلت لنفسي إن شراء قميص ورباطين سوف لا يستغرق كثيراً من وقتي ، فلا بأس علي من أن أجمع بين الموعدين فألقى مصلحة صديق ثم أعود مسرعاً إلى عروسي . ولكن المقادير غير المواتية لبثت دورها معنا في ذلك اليوم . فقد بعثرنا وقتنا في اختيار الألوان ... وفي شراء الأزرار الأمامية والخلفية ... وفي انتقاء الأربطة وتجربة ربطها ... ولما طرت راجعاً إلى منزلي وأنا أدرك ما تورطت فيه من سوء التدبير وجدت قرينتي العزيزة فيه تنتظر مضيفها فاسدة الذوق ، وتواجه أول فصل من فصول البلاوزة التي ظلت تحتملها من منذ ذلك الزمان في صبر جميل أسأل الله أن يجزل ثوابها عنه . وقد مر ذلك اليوم في ظاهره بسلام ، ولكني لا أبرئه من إحداث أسوأ الآثار في نفس تلك الآنسة المهذبة التي أصبحت فيما بعد أم أولادي ، ومن تلك النظرة الصامتة الشزراء التي تلقيها علي كلما سقطت معها سقطة جديدة ، كأنما تريد بها أن تذكرني بما مضى وتقول :

— ومع ذلك ألست أنت من تركني وحيدة في أول زيارة لي إلى منزله ليشتري قميصاً لبعض أصدقائه ؟!

* * *

إني لأرجو أن يكون لهذا الحديث نصيبه عند إعادة طبع الكتاب . كما أرجو أن تتناول الطبعة الجديدة قصة « قادة البوليس » بتعديل طفيف في أمر « الحافلة » « والجنحة » « وسلطة النيابة في حفظها » ، ثم « عريضة الدعوى » « وورقة الاتهام » مما يحتمه القلم في مثل هذا المقام .

* * *

وبعد ...

فقد أكثر الأستاذ من وصف نفسه في شبابه « بالصبي الشاذ » ، وبأنه صاحب النفس الحزينة التي لا تعرف المرح والابتهاج ، وهو يمعن في تفسير هذه الظاهرة وتحليلها .

وأنا أريد هنا أن أنصفه من نفسه وأقول له إنه كان دائماً صاحب أصفى نفس فينا ، كما كان أكثرنا استمتاعاً بالفكاهة ، وأكثرنا استعداداً لإلقائها . وهذا وصفه لحياته تزخر مشاهده بالدعابة الرقيقة والفكاهات الطريفة التي يزجيها حساً ذلك الأسلوب الساذج السمح الذي اصطنعه لنفسه فأصبح من خواصه ومميزاته . وأنا إن اخترت النادرة التالية لأختم بها كلمتي هذه فإنما أسوقها على سبيل المثال للتدليل على صحة ما أذهب إليه من نظر في هذا الشأن . فهو يروي في كتابه أنه انتخب ليكون عضواً في مؤتمر المستشرقين الذي تقرر انعقاده في بروكسل في سنة ١٩٣٨ ، وأنه حدثت له هناك حادثة طريفة رأى أن يشير إليها في مذكراته فقال : « ذهبت إلى حلاق في تلك المدينة لا يعرف كلمة انجليزية وأنا لا أعرف كلمة فرنسية ، فكان كلما حدثني بالفرنسية قلت له : Yes ، وإذا حدثته بالانجليزية قال لي : Oui ، وأنا لا أفهم ما يقول ، وهو لا يفهم ما أقول . حتى رأيت آخر الأمر رأسي وليس به إلا شعر خفيف جداً قصير جداً والدنيا برد ، وأنا مضطر عند دخولي قاعة المؤتمر أن أخلع قبعتي ، فلا أجد بها شعراً يقاوم برداً ولا يحتمل منظراً » . وقصصت القصة على زميلي الدكتور طه حسين والدكتور عبدالوهاب عزام فضحكا وأغرقا في الضحك ، وقال الدكتور طه : إني سأضع رواية أسميها « حلاق بروكسل » على وزن « حلاق إشبيلية » ، ونظم الدكتور عزام قصيدة أذكر منها :

ونظير الأستاذ في (المرآة)
فرأى بعد في رأسه (شعراية)

* * *

جزى الله إخوان الصفاء خيراً عن كل ما أمتعونا به من أحاديثهم الرزينة وبما يدخلونه دائماً على نفوسنا من سرور !

حسن جلال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعض أنواع القرائح والأفهام

للأستاذ علي أدهم

من حكم المتنبي المأثورة قوله:

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الآذان منه ... على قدر القرائح والعلوم

ورأي المتنبي في هذين البيتين صحيح لا غبار عليه، فالرجل المدخول العقل السقيم الفكر كثيراً ما يعيب الأقوال الصحيحة، لأن عقله الواهن العاجز لا يمكنه من فهم مدى صحتها ومقدار حظها من الصدق والإصابة؛ ولكن هل ضعف التفكير وعجز العقل وقصور النظر هو السبب الوحيد الذي يحول بين الناس وبين الفهم الصحيح حجاباً صفيقاً ويقيم حاجزاً لا يمكن تخطيه؛ أظن أن تجارب الحياة تنقض ذلك، فليس الفهم السقيم وحده هو الذي يجعلنا نرى الصواب خطأ والخطأ صواباً والجميل قبيحاً والقبيح جميلاً. وكثير من الناس الذين لا نشك في رجحان تفكيرهم وأصالة آرائهم قد يعيبون الأقوال التي نراها صحيحة لا لأنهم أوتوا من ناحية الفهم، وإنما لأن أسلوبهم في فهم الأمور وطريقتهم في النظر إلى الأشياء تخالف أسلوبنا وتناقض طريقتنا؛ وقد تتفاوت العقول في القوة والضعف كما لاحظ المتنبي بحق، فتفهم الأمور فهماً واسعاً شاملاً أو فهماً ضيقاً محدوداً على قدر نصيبها من السعة أو الضيق وحظها من العلم أو الجهل، ولكن هناك شيء آخر غير اختلاف ألوان الأفهام وتباين أنواع القرائح الذي يجعلني أسفه تفكير فلان من الناس وأرميه بالخطأ والانحراف لأن طريقته في الفهم تختلف عن طريقتي وتناقضها.

والواقع أن عقولنا حينما تحاول فهم الأشياء تكون متأثرة بأحوالنا الجسدية وظروفنا العاطفية وأهوائنا وميولنا وعقائدنا الموروثة ونشأتنا وسائر ملابسات حياتنا، أي أن حالتنا الصحية وحالتنا الأخلاقية لها أثر كبير في فهمنا الأمور، وكثيراً ما نعرف رجالاً لهم فطنة وذكاء، ولكنهم مع ذلك لا يحسنون عملاً ولا يصنعون شيئاً، لضعف في إرادتهم أو الفتور في همتهم أو لخطأ وقع في تربيتهم، ولكن برغم مؤثرات التربية والنشأة والجسد والبيئة ولون المزاج، فإن العقول تتفاوت وأساليب الفهم تختلف وتتباين وتتعارض، والعقول قد تختلف في النوع والصنف كما تتفاوت في القدرة والتفوق؛ فإذا استعنا في تنسيق أنواع العقول بالنظام الأفقي والنظام الرأسي وجدنا أننا قد نضع في مستوى أفقي واحد عقلين مختلفين اختلافاً شديداً، ولكننا نضعهما على مسافات متباعدة، وذلك مثل عقل برجسون وعقل برتراند رسل مثلاً، وقد يكون بعض المتصوفين أقل قوة بكثير من عقل برجسون، ولكن فيه من الشبه والاقتراب منه ما يجيز لي أن أضعه في درجة أدنى منه في المستوى الرأسي؛ وهكذا قد تتقارب العقول في المستوى الأفقي لأنها من نوع واحد وتتباعد في المستوى الرأسي حسب قوتها أو ضعفها.

وبعض الفروق الأفقية أو الرأسية طبيعية، وبعضها مكتسب حادث، وقد تخفف التربية من حدة الفروق أو تقتلع منها.

وأوفق ما عرفت من تقسيم ألوان العقول وصنوف الأفهام هو التقسيم الذي وضعه العلامة النفسي الكبير يونج في كتابه المشهور عن الطرز النفسية، فقد قسم يونج الناس إلى قسمين رئيسيين: النوع المنطوي على نفسه، الدائم النظر في ذاته، والنوع المنبسط الموكل بالنظر إلى العالم الخارجي، فالمنطوي على نفسه يؤثر الانسحاب من العالم الخارجي، لأنه يتحاماه ويخشاه ويضل في متاهاته ويشعر بما فيه من مقاومة له، فيلوذ بعالمه الداخلي ويعتصم به، وهو يعتقد أن فكرته عن الأشياء أصح وأصدق من الأشياء في ذاتها؛ وهو حينما ينظر إلى الأشياء الخارجية يريدها على أن

ARCHIVE

تلائم الصورة التي رسمها لها وتوافق الفكرة التي كونها عنها . أما النوع المنبسط فإنه يحاول أن يلائم بين نفسه وبين الأحوال الخارجية ؛ فعند المنطوى لا قيمة للظواهر الخارجية الزائلة ، وعند المنبسط أن الأفكار إن لم تطابق الواقع فإنها خيالات لا قيمة لها ولا معنى ، وهو يبذل جهده في الملاءمة بين نفسه وبين الواقع ، ولهذا لا يطمئن المنطوى إلى أساليب تفكير المنبسط ، ولا يرتاح المنبسط لتفكير المنطوى ويشك فيه ويتهمه ؛ ومن ثم الخلاف القائم بين وجهة نظر الطراز المنطوى والطراز المنبسط ؛ وهو يتمثل في عالم الفلسفة في الخلاف بين الإفلاطونيين والإرسطاطاليسيين ، أو بين المثاليين والواقعيين ؛ فهذه المعركة القائمة بينهما منذ عهد بعيد هي في الواقع الخلاف القائم بين وجهة نظر الطراز المنطوى والطراز المنبسط ؛ والمذاهب الفلسفية المتعارضة والآراء المتناقضة لم تخرج عن كونها تعبيرات عن هذين الطرازين المتعاكسين ، وكلا الطرازين له حججه وبراهينه وآياته وبيناته ، وهما يختلفان بطبيعة الحال في اختيار المقدمات ؛ ففريق يرى مثلاً أنه من الطبيعي المألوف أن نفترض أن العالم الخارجي أكثر واقعية وأصدق دلالة من العالم الداخلي ، والفريق الآخر يرى أن الأمر على نقيض ذلك ، ويذهب إلى أن العالم الداخلي هو الأحق بالرعاية والأولى بالتصديق ، وكلاهما يرى أن وجهة نظره هي الحق وأن وجهة نظر مخالفه هي الباطل .

وهذه المعركة التي تدور رحاها في عالم الفلسفة لها نظائرها في ميادين الفن والدين والاجتماع ، ودوافعها الأصيلة هي نفس اختلاف الطرز العقلية وتفاوتها . وقد قرأت في صدر حياتي الأدبية كتاب المفكر المعروف إدوارد كيرد عن حياة هجل وفلسفته ، كما قرأت كتاب هجل عن فلسفة التاريخ ، وقرأت ما كتبه مؤرخ الفلسفة شوجلر عن فلسفة هجل ، ووقفت على رأى سترلنج صاحب كتاب « سر هجل »(١) ، ومضيت بعدها في الاطلاع على الجوانب المختلفة لفلسفة هجل ، فأعجبت بها وأكبرت عقله المستوعب العميق وتفكيره الشامل المحيط ؛ وأتيح لي بعد ذلك أن أقرأ ما كتبه عنه ماكس نورداو في كتابه عن « تفسير التاريخ » فإذا نورداو يهاجمه هجوماً عنيفاً ويسخر به ويتهكم عليه ، ولا يكتفى بذلك بل يغمزه غمزاً قاسياً ، وقد اطلعت في العام الماضي على كتاب الأستاذ بوبر المسمى « المجتمع المفتوح »(١) ، فإذا به يفرد فصلاً من فصول كتابه الضافية لنقد فلسفة هجل ، ولا يكتفى بذلك بل يتنقص شخصه وحياته ، ويتهمه بالوصولية وتملق الأقوياء وأصحاب السلطان ؛ وقد جعلني ذلك أعجب من شأن هذا المفكر الكبير الذي يذهب قوم إلى أنه فيلسوف كبير ويهبط به قوم آخرون إلى مستوى الأدعياء والدجالين والسوفسطائيين والوصوليين ! وتفسير هذه الظاهرة في رأيي هو هذا الخلاف القديم بين رأى المنطوين على أنفسهم والمنبسطين ؛ وملاحظتي لنفسي تجعلني أميل إلى حشرها في زمرة المنطوين على أنفسهم المتأملين ؛ ولعل هذا من أسباب إعجابي بفلسفة هجل وأمثاله من الفلاسفة المثاليين . وماكس نورداو والأستاذ بوبر على ما يبدو لي من الطراز المنبسط ، ولهذا لا تعجبهما آراء هجل ، ويريان أنه يحاول أن يفرض أفكاره على الواقع بدلاً من أن يسترشد بالواقع ويحاول أن يلائم بينه وبين تفكيره .

ومن الناس من يرتاحون بطبيعتهم إلى التفسير المادى لحياتنا الداخلية ، ومنهم من ينفر من ذلك ويستنكره ؛ ومن الصعب على المثالى النزعة أن يؤمن بوجهة النظر المادية ، وكذلك يجد المادى النزعة الكثير من الحرج والضيق في الأخذ بآراء المثاليين .

ولا يكتفى يونج بتقسيم الناس إلى هذين الطرازين ، بل يحاول أن يقسم كل طراز من هذين الطرازين إلى أربعة أقسام أخرى ، وهي الطراز المفكر والطراز الشاعر والطراز الذي يفهم الأمور بالبداهة واللقانة والطراز الحسى ؛ فالطراز الفكرى نقيض الطراز الذي يعول على الشاعر ، والطراز الذي يعتمد على اللقانة نقيض الطراز الذي يرجع إلى الحس . وتقسيم الناس إلى من يعولون على الفكر ومن يعولون على الشعور قد سبق إليه مفكرو القرن الثامن عشر ، فقال لورد

(١) The Secret of Hegel, by J. H. Sterling

(١) The Open Society & its Enemies, by Popper

شسترفيلد كلمته المشهورة: «الدنيا ملهاة عند الذين يفكرون، ومأساة للذين يشعرون».

والمفكر المنبسط يعنى بالأشياء والناس، ويرى أنه رجل عملى، ويبدأ من الحقائق والوقائع ويعتمد عليها ويقيم بناءه فوق صخورها، وكونه من الطراز المفكر يدل على أنه ينقص حدة الشعور، فهو من ثم يفخر بأنه رجل لا تسيطر عليه العواطف ولا ينقاد للأهواء، بل لعله يجد شيئاً من الصعوبة فى فهم هؤلاء الناس الذين ينقادون لعواطفهم ويستسلمون لأهوائهم ونزعاتهم، وهو يعتقد أن العقلاء هم الذين يوافقونه على آرائه ويذهبون مذهبه، وأن الحمقى السخفاء هم الذين يعارضونه ويخالفونه، ومن ثم يحاول أن يفرض آراءه على الغير ويحاول جهده أن يحملهم حملاً على الأخذ بها والإيمان بصحتها! ومن أمثلة ذلك فريق من المشتغلين بالسياسة وفريق آخر من المعنيين بالمسائل العلمية.

أما المفكر المنطوى على نفسه فإنه يغلب عليه التزام الهدوء، وقد يصل به الهدوء إلى حد الفتور والبرودة، وهو يعنى بالأفكار لا بالوقائع، وهو يبدأ بالنظرية ويستنبط منها الحقائق، وغلبة التفكير عليه قد تنمى الناحية [illegible] أسير الأفكار والنظريات، وقد يزين له الإسراف فى ذلك حتى يصل به الأمر إلى حد الهوس والتعصب الأعمى، وبعض الثائرين الطغاة من هذا الطراز مثل روبسبير وكارل ماركس ولينين.

والمنطوى على نفسه الذى تغلب عليه النزعة الشعورية يصبح بسبب انطوائه على نفسه زاهداً فى الاجتماع بالناس والاقتراب منهم، ويجد صعوبة فى التعبير عن نفسه، ويكون قوى الشعور سواء بالحب أو العداوة والبغضاء، ويسبب له ذلك آلاماً شديدة وأزمات حادة، لأنه لا يستطيع إظهار هذه العواطف، ويصمه الناس بالأنانية وإضمار الكراهة لهم، وكثير من الشعراء من هذا الطراز، فهم يكتبون على الورق ما لا يجترئون على النطق به، وربما كان الشاعر الألمانى العاطفى الحساس هينى من هذا الطراز.

والطراز المنبسط الشعورى يكثر بوجه خاص بين النساء، وأصحاب هذا الطراز [illegible] اجتماعيون مستمسكون بالتقاليد، لا يشذون فى ميولهم عن جيرانهم وأهل جيلهم.

والمنطوى على نفسه الحسى يقدر طيبات الحياة ويتذوق أنعم العيش، ولكن وراء ما يبدو من امتلاكه لنفسه قلق دائم واضطراب خفى، لأن أوهامه ومخاوفه وأحلامه تلقى ظلالاً من الريبة على الأشياء التى يستمتع بها ويستطيبها.

والطراز الحسى المنبسط يختلف عن ذلك كل الاختلاف، فهو تحت رحمة ظروفه المادية وبيئته الواقعية، وهو سريع الملل والتبرم، ويتطلب على الدوام محركات ودوافع من الخارج، ولا يثبت على خطة ولا يصبر على متابعة عمل من الأعمال، وقد يبدو طلقاً باشاً جم المرح، ولكنه قد ينقلب فى طرفة عين فظاً غليظاً لأن نقص بداهته يجعله فى كثير من المواقف عاجزاً عن تقدير ظروف غيره من الناس وفهم أفكارهم ومشاعرهم! كما أن عقله الباطن يوحى إليه على الدوام أن الناس يحاولون استغلاله والإفادة منه، وهو عرضة لنوبات الغرور والمغالاة بالنفس، وقد يعزو إلى نفسه ضروباً من الحزم وبعد النظر، وأصالة الرأى تنقصه كل النقص.

والمنطوى على نفسه من الطراز الذى تغلب عليه قوة البداهة هو نقيض الطراز الحسى المنبسط، فهو لا يحفل بالحقائق الخارجة عنه، وعالمه ذاتى خالص، والمحتملات هى التى تستأثر بتفكيره لا الوقائع والكوائن، وهو يحاول أن يلقى ظل نفسه على الأشياء! وأصحاب هذا الطراز شديدو الاعتزاز بكرامتهم، وربما كانوا غير ثابتين فى ولائهم وصداقتهم.

والمنبسط من الطراز الذى تغلب عليه قوة البداهة لا يستقر على حال، مثل المنطوى الذى تغلب عليه قوة البداهة، ولكن قلقه أظهر وأوضح، فهو لا ينفك طالباً التغيير، وكراهته للاستقرار تجعله يرحب بكل ما يقع من تبديل ويقبل على كل جديد! وهو من ثم يميل إلى المقامرة والمخاطرة لأن محتملات الربح والكسب ونقص التفكير المتزن يجعلانه غير عابئ بالأخطار الكامنة وأسباب الإخفاق المنتظرة، وهو فى الحياة نهاز للفرص، يشق طريقه فى الدنيا بالعناد الذى يشبه عناد الأطفال، والتعلق بالأمل الذى قد لا يكون له من الظروف والأحوال ما يسوغه،

(البقية على صفحة ١٢)

الحياة الأدبية فى أندونيسيا

الأستاذ أحمد طه السنوسى

تنتشر فى أندونيسيا مدارس البنين والبنات من ابتدائية وثانوية ، وذلك فى المدن والقرى ، وإقبال الأهالى عليها شديد . أما المعاهد العالية كالطب والهندسة والحقوق والزراعة والتجارة ، فهى فى المدن الكبرى فقط ، وقد تخرج منها عدد كبير ، فهناك المحامون والمهندسون والأطباء ، كما أن هنالك عدداً كبيراً تخرج من جامعات أوربا ، وعلى الأخص من جامعات هولندا ، وتشترك الجامعة المصرية فى تخريج من يتعلم فيها من الشباب الأندونيسى ، كما أن الأزهر الشريف له حظ فى ذلك .

وتقوم الجمعية « المحمدية » بأعظم قسط فى تعليم الأهالى الدين وغرس مبادئه الصحيحة فى نفوس الأحداث . أنشأها المرحوم الحاج دحلان ، ولها مئات الفروع فى أنحاء أندونيسيا ، ولا يقل أعضاؤها عن ثلاثة ملايين . و « جمعية » « والنصر » التى أنشأها الأستاذ ... من الجمعية الوحيدة التى تعنى كثيراً بتدريس اللغة العربية بعد المدارس العربية ، وقد استعانت بعض مدارس البنات العربية ببعض خريجاتها لتدريس اللغة العربية فيها .

وتسير رياض الأطفال على أحدث الطرق التربوية ، وتقوم برعايتهم مدرسات مثقفات ثقافة عالية ، وتهتم المدارس على اختلاف أنواعها بالنشاط المدرسى اهتماماً عظيماً ، فالكشافة والكرة والرحلات وتأليف الجمعيات وإصدار المجلات كل ذلك من أهم ما يعنى به المنهج الدراسى ، ومما هو جدير بالذكر حقيق بالتسطير أن المناهج الدراسية يسودها الاستقرار ، وهى تخلق من الأحداث رجالاً يعتمدون فى مستقبلهم على أنفسهم أكثر مما يعتمدون على الوظائف الحكومية ، ولذا تجد كثيراً من حملة الشهادات يفضلون الأعمال الحرة على دواوين الحكومة ...

والمطابع هناك كثيرة ، والورق متوفر ورخيص الثمن ، بيد أنه بالرغم من هذا كله ، فإن الإنتاج العقلى يعوزه التشجيع والاهتمام والنشاط والتقدم ، فالمؤلفات قليلة جداً ، ولكن الصحف والمجلات كثيرة ويقرأها خلق كثير كما يقبل عليها معظم الناس ، ويلاحظ أنه ليس من أثر للمجلات الفكاهية ، وهذه ظاهرة عجيبة يماثلها أنه لا يوجد أيضاً فى نفس البلد مجون فى الغزل ، فالملحوظ أن الجد يسيطر على ما يكتبه الأدباء والعلماء .

ويلاحظ أيضاً أن ميل الرجل الأندونيسى إلى الفنون الجميلة أكثر وأقوى من ميله إلى الأدب وإقباله عليه ، ولهذا كان بروزه فى الرسم والغناء والموسيقى العاطفية واضحاً ملموساً ، والأندونيسيون يقدسون هذه الفنون كل التقديس ، ومعظم أغانيهم على الأنغام لا الكلمات ، أما الأنغام فخليط من الغربية والهندية ، وجل أغانيهم فى الغزل ، ومعظمها حلو عذب يميل إليها الشرقى ويستسيغها الغربى ، بيد أنها لا تحمل شيئاً كثيراً من صفات الخلود ، فسرعان ما تندثر وتحل محلها أغان جديدة .

والرقص الأندونيسى رائع ، ولكنه دقيق صعب يحتاج الغريب إلى تكرار مشاهدته حتى يتمكن من تقديره وفهمه ، وأساس هذا الفن مرونة الحركات ولغة اليدين والرجلين والوجه ، فكل لمحة وكل لفتة وكل حركة بالذراع أو بالكتف أو بالقدم تعنى شيئاً خاصاً ، والرجال كالنساء يرقصون ويحركون رقابهم وأيديهم وأرجلهم وعيونهم طبقاً لقواعد تلك اللغة الصامتة . وهناك ضرب من الرقص الكلاسيكى يقال له Wajang ما عتم محتفظاً بأوضاعه القديمة وهو محبوب جداً من الوطنيين ، وثمة ضرب آخر من الرقص يجيده غالبية الأندونيسيين ، وذلك هو (البدويو) ،

ونوع خاص يسمى (سريفي) تجيده طبقة خاصة من الفتيات الفتيات . وهـذا النوع يعتمد على لفتات الوجه ورشاقة الإمساك بالثوب الفضفاض ...

ومسارح التمثيل قليلة ، وتقوم معظم موضوعاتها الروائية على الأساطير الأندونيسية القديمة وعلى قصص ملوك الزمان الغابر وما ناله هؤلاء من عز ومجد ، والمسرح الجاوى يهتم الاهتمام كله بالقصص الأندونيسى التاريخى ، ولهـذا يتزاحم الأندونيسيون ليشاهدوا ما يعرضه ذلك المسرح من قصص تمثيل وتمثيل وطنى وأداء شعبى .

.. ويتداول الأندونيسيون لغات كثيرة ، أهمها وأكثرها انتشاراً اللغة الملاوية (الماليزية) وهى سهلة التفهيم بسيطة فى قواعدها ومفرداتها ، وتكتب بالحروف اللاتينية ، ولكن رجال الدين يكتبونها بالحروف العربية ، وفيها كلمات دخيلة من عربية إلى سنسكريتية إلى فارسية .

والمتمعن فى الأدب الأندونيسى ترى أنه لم يبلغ بعد درجة سامية من الكمال ، ومن هنا يجنح البعض إلى القول بأن اللغة الماليزية لغة تفاهم وتخاطب وليست لغة آداب .

ولكن ما قيل فى الغزل فى هـذا الأدب — وبخاصة من هذا النوع — على جانب عظيم من السمو ، فتجد القارئ فيه حساً دقيقاً وروحاً رقيقة ولطفاً فى التعبير الأخاذ وتناغمها ، فهو غزل حار يبعث العاطفة ويمجد الخيال ولا تزوير فيه ، ويسيطر روح الفكرة دون أن يبلغ منها حد موضوعها ، وتقرأ فيه فلا تجد تعقيداً ولا إفساداً فى المعانى ، فإذا التفتت إليه رأيت الإفراط فى المجازات وكثرة فى الاستعارات وجنوحاً إلى التشبيهات .

وقد خلا الشعر الأندونيسى من المآسى الباكية ، وبدا دنيوياً يتابع الدنيا دون أن يمد نظره فى أفق ما بعد الحياة أو ما قبل الوجود ، يطلب ما يقتضيه الدنيا كأنه متحير لا يخلد لأنه لا يخلد ، وليس له من سبيل إلى الغرب ، وحظه فى ذلك كحظ الشعر اليابانى الذى تعلوه مسحة الشيخوخة وتغذيه الآداب الصينية وتمشى فى تعاليمه الدينية الغربية أكثر مما تمشى فى الآداب الشرقية الأخرى ...

والملحوظ أن الأدب الأندونيسى يجيد استغلال الحواس كل الإجادة ، ولعل للطبيعة الأندونيسية البديعة الأثر الكبير فى ذلك ، فهذه الروح الخضراء ، وهـذه السيول والشلالات والبحيرات ذات المياه الصافية الساجية ، وهـذه السفوح والوديان ، وهذه العيون والينابيع التى تتفجر فى البطون السحيقة كانفجار الدم من شرايين القلوب أو كانفجار الصخرات من أعماق الطيور ، كل هذه ساعدت أدب أندونيسيا على إجادة استغلال حواسه كما ساعدت على ثورة خياله ...

ولقد كان للثقافة والآداب العربية حظ من التأثير فى الأدب الأندونيسى ؛ ويرجع ذلك إلى اللغة العربية التى لها بعض الانتشار فى أندونيسيا بفضـل الحضارة العرب ، والشعب الأندونيسى على أهبة الاستعداد لأن يتعلم اللغة العربية . ويا حبـذا لو خلت أندونيسيا حذو باكستان الشقيقة ، فاهتمت باللغة العربية اهتمامها واتخذتها لغتها وساعدت على انتشارها وتعليمها وغرسها فى النشء الجديد ...

والقصة الأندونيسية تمتاز بثلاث نزعات : النزعة الدينية والنزعة الإلهية والنزعة الخرافية . ويدور محور القصة الأندونيسية المنتزعة من الفن القصصى الهندوكى القديم حول عرض وصفى للحروب والقتالات الخيالية بين جانب الإنس وجانب الجن أو وصف عرضى لمعانى الحروب التى تقع بين آلهة الخير وآلهة الشر . وهذا المحور القصصى المقتبس إنما بدا على هـذا الوجه الذى نحته طبقاً للنزعة والتقاليد وطبقاً للبيئة والخيال الخصب الذى يرتطم فى خيالات الآلهة وابتكارات المجهول ، ووضعه فى قالب مشوق يستسيغه العقل الأندونيسى ، وقد استساغه من قبل العقل الهندوكى الغابر .

ونعود فنقول إن اهتمام الأندونيسيين بالقصة والشعر يتضاءل بالنسبة إلى اهتمامهم وميلهم إلى الفنون ، ولكى يقف القارئ العزيز على مدى ما وصل إليه الرسم الفنى فى أندونيسيا يطمعنى أن أعرض عليه قصة صغيرة حدثت فى أندونيسيا منذ سنوات ..

فقد كان هناك رسامان ماهران أحدهما أندونيسى والآخر هولندى ، وكان كل منهما ينافس الآخر ، وذات يوم دبر

(البقية على صفحة ٦٠)

ثقـــافات واتجاهات

الأستاذ رشدي الأشهب

جماعة من الشباب المثقف ، ضمهم مجلس سامر اختلفت ألوان ثقافاتهم ، وتعددت مشاربهم واتجاهاتهم ، كانوا يتحدثون في كل فن ، ويطرقون كل موضوع ، تعرض بعضهم لعدم الاستقرار ، كما انتقد البعض أوضاع الحياة ، وفيهم من وصف الحال ، ودل على العلاج ، وربما انبرى له من قارعه الحجة ، وأثبته بدليل . كان بينهم المتدين الذي يرى سبب التأخر والقلق والأخطاء في تخلينا عن ديننا ، وانحرافنا عن الطريق المستقيم ، وجلس إلى جانبه من عارضه ، ورأى أنه يجب الأخذ بأسباب المدنية ، والعمل بمبادئ الحضارة الحديثة جميعها ، خيرها وشرها ، لأنها كل لا يتجزأ ، ووحدة لها مظاهر متعددة ، ويجب أن نأخذ جميع مظاهرها في جرأة وقوة وشجاعة ، وكان الثالث بين بين ، يرى التأني والاختيار والحذر ، فلا نقتبس إلا ما يلائم روحنا وتقاليدنا وعاداتنا ، وكان يشفق على الطابع الشرقي ، ويعدد محاسنه وميزاته ، ولذلك يجب أن نأخذ ما نحتاج ونحتفظ بما ينفع ، وكان بينهم رابع يثور ويغالي في آرائه ، ومن جملة ما يؤاخذ عليه قوانين البلاد العربية وأنظمتها وتقاليدها ...

كلهم يدعون الغيرة ويهدفون المصلحة ، حتى الصديق « م » الذي كانت له طريقة خاصة في النقاش ، ولون ممتاز في الاتجاه والتفكير ، قد أولع بالإنجليز ، وأحب كل ما يتصل بهم من أدب وعلم وفن ، كان ولعه يلفت النظر لأنه لا يكتفي بالحديث عنهم ، أو الدعاية لهم ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك ، فهو يستخف ما يسمع إلا إذا اتصل الكلام بما أحب واعتقد . إنه عربي الأصل والمولد ، إنجليزي الروح والثقافة والهوى ، حتى نسبه العربي يكاد يلفظه ويتأفف منه ، ويلعن الظروف التي أوجدته فيه أوله . لقد كفر بقومه لأنه اعتقد عدم صلاحيتهم ، ولأنهم في آخر صف من صفوف الأمم ، ولأنهم لن يتقدموا ، فهم برابرة متوحشون ، لا يفقهون معنى المدنية ، ولا مفهوم الحضارة ...

كان يؤيد كل نقد موجه للعرب أو العربية ، ويذهب إلى القدح والسباب ، وربما استمع إلى من ينتقد ويريد الإصلاح فيوافق على النقد البريء ، ويدعي استحالة الإصلاح ، إذا تحدث أحدهم عن الغناء الشرقي قاطعه وتحدث هو عن الغناء الإنجليزي ، وإذا طرق باب الفلسفة العربية ، تكلم هو عن الفلسفة والفلاسفة الإنجليز . والذي لاحظته أنه يلاقي الاحترام غالباً والامتعاض قليلاً . جرى مرة الحديث عن « رسالة الغفران » ، وكان المتكلم يراها فاتحة القصة في الآداب العربية ، وإذا به يحول الكلام إلى الأدب الإنجليزي فيتحدث عن « ملتون » ، فهو أعظم من أبي العلاء ، وأبعد أثراً ، وقصته « الفردوس المفقود » أحسن بكثير من « رسالة الغفران » . فرد عليه الأول قائلاً : إن قصة « ملتون » مستوحاة من قصة أبي العلاء التي ترجمت إلى اللغات الأوربية أيام الحروب الصليبية ، وإذا كانت « جحيم دانتي » هي الصدى الأول لرسالة الغفران فإن « الفردوس المفقود » هو الصدى الثاني ... وسكت .. فقد ظن أنه ألجم صديقه الذي أجابه : إنك متعصب ، وكأنك من الذين يردون كل شيء إلى الفكر العربي ، وإذاً فاعلم أن « جحيم دانتي » و « الفردوس المفقود » أخذت الفكرة فيهما من التوراة والإنجيل ... وهكذا كان صاحبنا ، لم تكن آراؤه تقف في حدود النقاش في الأدب وما يتصل به ، بل تتعداها إلى جميع نواحي الحياة ، فالثقافة العربية عنده لا تليق بمجتمع ناهض ، واللغة العربية أداة ناقصة لا تصلح للتعبير ، والسياسة العربية جاهلة حمقاء ، والجامعة العربية أخفقت ، والزعماء العرب إذا أرادوا الإصلاح فالواجب يدعوهم إلى التفاهم مع الإنجليز ، لأنهم يتخبطون ارتجالاً ، والكثير منهم أتباع يسيرون كما يوجهون ، فلماذا نلجأ إلى الدجل والنفاق ؟ فلنتجه إلى الهدف المبين عن طريق الإنجليز ؟ إننا أضعنا فلسطين لأننا لم نعقد معهم المحالفات .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وفي مرة كان يتحدث بآرائه هذه ، فصاح فيه أحدهم قائلاً : إن رأيك هذا لا يقول به إلا خائن أو مأفون ، إن الإنجليز يريدون أن نبقى متأخرين جامدين لسلطتهم الدولة دائماً ، ويأخذون كل شيء منا ، وإن حرب فلسطين علمتنا أشياء كثيرة ، كنا في غفلة عنها ، وعن جدواها ، أما أنت فلا تؤمن بقوميتك ، ولا تعرف طريق الحياة لقومك ، إنك تريد أن تبقى عبداً أبداً ...

وهكذا يصادف أن يتطور النقاش إلى جدال عنيف أو شجار يتدخل فيه الآخرون بالكلمة الحسنة . وينفض المجلس ...

وأعود إلى نفسي أستعرض معها ما قيل وما سمعت ، والهم في وضعنا هذه التيارات المختلفة ، وتلك الثقافات المتعددة الألوان ؛ فهي — كما يظن — مفيدة ، ولكنها كما يحدث غالباً تشغل الكثيرين ، فنصطدم بهذه العواطف المتطايرة الملونة ، وأعود إلى نفسي أسائلها ... أين مستقبل البلاد من هذه الثقافات المختلفة ؟ .

إلى أين ... ومع من يجب أن نسير ؟ .

ما الفوائد التي سنجنيها والأضرار التي يجب أن نتجنبها ؟ .

(البصرة — العراق) رشدي الأشهب

بعض أنواع القرائح والأفهام

(بقية المنشور على صفحة ٨)

وهو يحتمي بهذا العناد ويحرص عليه حينما تقف في طريقه الوقائع ويعترضه منطق الأشياء . والبسيط من هذا الطراز هو خير مثال للاعتماد على المفاجآت وغرائب الأقدار والمصادفات .

وقد لا تجد صعوبة تذكر في إلحاق أي فرد من الناس بطراز من هذه الطرز المختلفة الثابتة . وغنى عن البيان أن هذه الطرز قد تتداخل وتختلط وتتمازج ، ولكنها لا تتعارض ؛ فالطراز الفكري قد يأخذ بنصيب من البداهة والحسية ، ولكنه لا يأخذ بنصيب من الشعور . والطراز البديهي قد يظفر بحظ وافر من التفكير والشعور ، ولكنه لا يحظى بحظ وافر من الحسية .

ويستطيع القارئ أن يتبع هذه الطرز المختلفة في مختلف الشخصيات التي يصادفها في الحياة أو التاريخ أو الأدب ؛ ولعلها تفسر لنا شيئاً من أسباب الاختلاف الأصيل بين وجهات النظر المختلفة ، والآراء المتعارضة ، والمذاهب المتناقضة ، والفلسفات المتعادية . وقد يعيب الإنسان آراء غيره لا لسقم في تفكيره ولا لعجز في رأيه ، وإنما بسبب اختلاف البناء النفسي ولون العقلية ونوع القريحة .

علي أدهم

منطقة القاهرة الشمالية

قلم المباني — إعلان

تطرح منطقة القاهرة الشمالية التعليمية في المناقصة العامة عملية تركيبات كهربائية بمدرسة العباسية الصناعية . فعلى راغبي العطاء الحصول على الشروط والمواصفات من ديوان المنطقة (رقم ٥ شارع ريدان بالعباسية) بموجب طلب على ورقة تمغة من فئة الثلاثين مليماً باسم حضرة صاحب العزة مراقب عام المنطقة . والثمن المقرر للمواصفات والشروط هو مبلغ مائة وخمسون مليماً .

وقد تحدد يوم الاثنين الموافق ٢٩ مايو سنة ١٩٥٠ الساعة الثانية عشرة ظهراً لفتح المظاريف بديوان المنطقة . ٤٨٣٣

المدنية الغربية الحديثة

والمدنية الشرقية القديمة

للأستاذ عبد الله أمين

بين المدنية الغربية الحديثة والمدنية الشرقية القديمة حرب عوان طحون، تكاد تأكل الأخضر واليابس فلا تبقي ولا تذر، وليست هذه الحرب سجالاً بين المتحاربين ينتصر أحدهما مرة وينهزم أخرى، وإنما هي حرب معقود لواء النصر فيها لأحدهما دون الآخر دائماً، معقود للمدنية الغربية الحديثة؛ وإذا تركت المدنية الشرقية بلا نجدة لإنقاذ أكثر ما يمكن إنقاذه منها، فقدنا مقوماتنا وصرنا لا شرقيين ولا غربيين.

ونحن معاشر الشرقيين أمام هذا الصراع العنيف الجبار الذي يوشك أن يقضي علينا، فريقان: فريق يؤيد المدنية الغربية الحديثة كل التأييد، ويحاول أن يحملنا على التحضر بها كلها بما فيها من خير وشر وملائم وغير ملائم بلا قيد ولا شرط، ويتعجل اصطناعها في نواحي حياتنا المادية والأدبية. وفريق آخر يرى أن نكون منها على حذر، فنتريث في الأخذ بأسبابها بأن نغربلها وننخلها ونأخذ الخلاصة الصافية النقية الملائمة التي تلائمنا منها.

فالفريقان أمام المدنية الغربية كرجلين: أحدهما يريد أن يطحن قمحاً بسنابله، وبما يختلط به من حصى وتراب ثم يعجنه ويخبزه بما فيه. والآخر يريد أن يدرسه ويذريه ويغربله وينقيه مما فيه، ثم يطحنه وينخله حتى يصير شيئاً نقياً سائغاً. أو أنهما أمام المدنية الشرقية كرجلين في بيت آيل للسقوط؛ فأحدهما يستعجل هدمه وتدميره ويعمل جاهداً لإنجاز هذا الهدم وهو فيه، والآخر يقاوم الهدم ويؤخره حتى يجمع متاعه وأثاثه ويخرج سليماً ناجياً بنفسه وبأعز ما يملك.

ويقول أنصار التعجيل: إن الأخذ بأسباب المدنية الغربية الحديثة كلها بخيرها وشرها، وملائمها وغير ملائمها جملة وتفصيلاً، يكون فيه بلا شك جذب ودفع؛ فهو تبشير للأمة لا يلبث أن يبقي خيرها ويستبقي طيبها، وستسلم الأمة في مجموعها في آخر الأمر من الأخطار.

وهذا قول ظاهر البطلان، لأن كل مدنية لها مظاهر تدل عليها، وعناصر تتكون منها، وأسس تقوم عليها، فالمظاهر كالمباني والطرق ووسائل النقل البرية والبحرية والجوية، ووسائل الإذاعة والإضاءة والفراش والملابس والنظم الحكومية والمنزلية والاجتماعية والمصانع والمدارس وغير ذلك. والعناصر هي العلوم والفنون والآداب. أما الأسس فهي أخلاق الأمة وعقائدها أو مزاجها النفسي والعقلي.

فليس من المعقول ولا من الممكن أن نأخذ كل ذلك من الغرب بلا تمحيص ولا تنقيح، لأن كل أمة تفصل مدنيتها على مثال أخلاقها وعقائدها وتصبغها بصبغتها. وهذه الأخلاق والعقائد وليدة البيئة والتراث القديم والقرون الخوالي، فلا يمكن أن تستعير أمة مدنية أمة أخرى مطبوعة بطابعها مقدودة على مثالها بحذافيرها، فلا بد من أن تنتقي منها ما يلائمها. وإنها إن فعلت ذلك كانت كمن يستعير ثوباً ضيقاً لا يلبث أن يتمزق أو واسعاً فضفاضاً يتعثر في أذياله فلا يستطيع حراكاً.

إن المدنية الشرقية أمام تيار المدنية الغربية الجارف في أشد الحاجة إلى من يقيم في سبيله السدود والحواجز، لا إلى من يزيل من أمامه ما قد يكون من عقبات وعوائق، وهو في تدفقه علينا إنما ينتقل من انتصار باهر إلى انتصار أبهر.

وإن أول ميدان انتصرت فيه المدنية الغربية الحديثة انتصاراً مبيناً، هو ميدان المظاهر؛ فقد سارع الشرقيون وفي مقدمتهم مصر إلى استعارة كل ما وصلت إليه أيديهم من هذه المظاهر، حتى صارت بعض البلاد الشرقية كالقاهرة والاسكندرية وغيرها كمدن الغرب، بل أحسن من كثير

ARCHIVE

منها ، وحتى أصبح الزائر الغربي الحديث يظن لأول نظرة أننا صرنا كالدول الراقية القوية الغربية ، وما نحن من ذلك في شيء ، بل لقد أصبنا بكل مخترع وبكل بدعة استعمرتها وتحلينا بها غلا في أعناقنا من أغلال الاستعمار ؟ فإن الاستعباد الاقتصادي والاجتماعي تمر مقدمة للاستعباد السياسي .

وما كان إقبالنا على مظاهر المدنية الغربية الحديثة إلا لضعفنا وعجزنا عن مجاراة الغرب في أسباب القوة الحقيقية ولرغبتنا في ستر هذا الضعف بهذه المظاهر ، فعالجنا نقصاً بنقص وهذا هو مركب النقص .

وليس هذا شأن الأمم القوية ، فليس فيها أمة ترضى لها كرامتها وعزتها وحرصها على ثروتها وسيادتها أن تستعير شيئاً من مخترعات أمة أخرى إلا لتعرف سره وتنشئ له الصانع لصنعه في بلادها ، بل وتحاول أن تفوق الأمة المخترعة في الإجادة والإتقان وقلة النفقات لتسبقها في الأسواق العالمية .

أما مصر فأقل دليل على افتتانها بالمظاهر وتقصيرها في الأخذ بأسباب القوة ، أنها أول من استعمل القطر البخارية بعد الأمة المخترعة ، وهي انجلترا ، ومع ذلك لا تزال تشترى هذه القطر وكل ما يتعلق بها من الغرب ! فإن قيل إن هذه صناعة ضخمة ، وإن الاحتلال الإنجليزي كان عائقاً فما عذرنا فيما دون ذلك من الصناعات .

فأما عناصر المدنية الحديثة ، فإن منها العلوم والفنون العقلية ، وهي قدر عام مشترك شائع بين الدول في جميع الأقطار وفي جميع العصور ، إنه دولة بينهم ، وقد كانت مصر يوماً ما أستاذة العالم القديم فيها ، ولا شك أن العالم القديم أستاذ العالم الحديث ، فمصر أستاذة الجميع ، وقد رحبت مصر بهذه العناصر الآن حين عادت إليها أعظم ترحيب ، وأقبلت عليها أيما إقبال ، وأنشأت لها المدارس على مثال المدارس الغربية ، واستقدمت الأساتذة من الغرب ، وأكثرت من بعث أبنائها أفواجاً إليه ، وما زالت جادة في ذلك ، ونرجو أن تظل جادة حتى تفوق الغرب فيه ، فهو أمر حسن واجب شرعاً وعرفاً وعقلاً لموافقته مبدأ التوازن الدولي ولكفالته صيانة الأمة وعزها ومجدها ، غير أننا ما زلنا مقصرين كل التقصير في أعظم مقومات الحضارة الحديثة ، وهي الصناعة والعلوم والفنون الصناعية .

وإن من هذه العناصر الآداب والفنون الأدبية ، وهذه في جملتها إقليمية لا يمكن تحويل معظمها ، لأنها في كل إقليم خاضعة كل الخضوع للبيئة ولمزاج الأمة النفسي والعقلي الذي تكوّن واستقر فيها بمضي آلاف السنين ؛ فلكل أمة طابع خاص تطبع به آدابها وفنونها الأدبية ، وستبقى الآداب والفنون الأدبية مختلفات في الأمم ما دامت الأمم مختلفات في صفاتها الجسدية والنفسية والعقلية ، وما دام الأدب هو الأداة التي تعبر عن مشاعر الأمة وميولها وآرائها وآمالها وآلامها تعبيراً تفهمه وتتأثر به ، فما حاجتها إلى أن تستعير أدب غيرها ؟ والموسيقى وهي مما أريد بالفنون الأدبية ، ما حاجة الأمة إلى استعارة موسيقى الغرب ما دامت موسيقاها تطربها وتؤثر فيها وتشبع رغباتها منها ؟

وليس في الإمكان أن تخلق الأديب ولا أن توجهه كما تريد ، لأن الأدب هبة لها عزتها ، فقد تريد من ذي الهبة الأدبية أن يكون قصصياً فيكون كاتب مقالة ، وقد تريده أن يكون شاعراً ، وقد تريده شاعراً فيكون مؤرخاً ، فلا خطر أن يترك الأديب للزمن وللأطوار التي تمر بها الأمة وحضارتها ، معتمداً في ذلك على مواهبه وعلى ما يحيط به من أحوال وملابسات ، فإذا جاءنا من هذه الناحية بشيء ، واستغناه صار من أدبنا .

وإذا أريد بالأدب ألفاظ اللغة وأساليبها الواردات في شعرها ونثرها وهذا الشعر والنثر نفسه ، فهذا لترقيته وتهذيبه في كل لغة وفي كل أمة ، طرق مستمدة من اللغة نفسها ، ومن الإقليم نفسه ، ومن الأمة وحاجاتها ، ومن علاقاتها بالأمم الأخرى ؛ وكتابها وشعراؤها وعلماؤها أفراداً وجماعات كفيلون بهذه الترقية وهذا التهذيب .

وإذا أريد بالأدب المعاني التي يتناولها الشعر والنثر ، فإنا قد فتحنا للمعاني الغربية الحديثة أبواب أدبنا على مصاريعها ، وأصبحت معانيه هي معاني الأدب الغربي ، وما ذلك إلا لأن المعاني هي الأخرى دُولة بين الأمم كالعلوم ، فليس لأمة أن تستأثر بشيء منها دون غيرها .

وأما القصة والأقصوصة فقد حلت في جميع صحفنا حتى

اليومية الكبرى منها على المقالة ، فلا تفتح صحيفة ولا مجلة إلا وجدت قصة أو أقصوصة أو أكثر ، وقد كانت كل صحيفة لا تصدر إلا بمقالة افتتاحية وفيها مقالات أخرى ؛ أما الآن فقد كادت القصة تختفي على حين أن لها مقاماً لا يصلح فيه غيرها .

وإذا أريد بترقية الأدب أن معاني قصصنا وأقاصيصنا غير سامية ، فلأن تكون في صميم الحياة المصرية — ولو كان معناها غير سامٍ — خير من أن تكون سامية وهي غريبة لحماً ودماً .

وأما الملاحم فهذا شعر قد دالت دولته حتى في الإقليم الذي نشأ فيه ، وهو بلاد اليونان ، وليس بالناس حاجة إليه الآن ولا يضيرنا أن نتركه .

■ ■ ■

هذا شأننا وشأن المدنيتين الغربية والشرقية ، وأما النزاع العنيف بينهما الذي سيقضي فيه على المدنية الشرقية ، وحضارة أدق على مظاهرها وعلى الكثير من عناصرها هذا القضاء الذي لا مرد له ، قاومنا أو لم نقاوم ؛ فإن الشرف أن نفتح لها كل أبوابنا لتحرقنا ، ومن القصد أن نفتح هذه الأبواب بحساب دقيق وحذر لننقذ أكثر ما يمكن إنقاذه من تراثنا القديم الذي لا يمكن أن تكون أمة لها كرامتها وصفاتها من دونه ، ولنصبغ ما نأخذه منها بصبغتنا ونبعث مدنيتنا بعثاً آخر حسناً .

ثم إننا إذا فقدنا تراثنا القديم ، فإن فينا أشياء لا يمكن أن نفقدها لثباتها فينا ثبات الجبال الراسيات ، وهي صفاتنا الجسدية والنفسية والعقلية التي تكونت فينا بتأثير أرضنا وجونا وآثار آبائنا وأجدادنا ، وسنبقى ما حيينا خاضعين لهذا التأثير ، وسيبقى بيننا وبين الغرب ما بقي وبقينا فوارق ، وسيبقى الغرب مترفعاً عنا مهما تشبهنا إليه ، على قاعدته القديمة المعروفة : الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان ، ترفع الأمريكان البيض على الأمريكان السود .

وليست هذه الفوارق بناقصة قدرنا ولا برافعة قدر الغرب عنا ، ولا مانعة لنا من سبقنا إياه في ميادين الحضارة ؛ فإن اليابان قد فاقت كثيراً من دول الغرب في القوة وأصبحت من الدول العظمى ، ولا تزال محتفظة بكل مميزاتها وطابعها القومي الذي كونته فيها آدابها وظروفها وأحوالها على ما في تقاليدها من غرابة .

فالخير كل الخير أن نحتفظ بأسس حضارتنا ، وهي أخلاقنا وعقائدنا ، وأن نستبقي من مدنيتنا الشرقية كل ما يلائم هذه الأخلاق والعقائد من أدب وفنون أدبية ونظم منزلية واجتماعية وقضائية وعادات وتقاليد صالحة .

وإن العقل والمنطق يقضيان علينا ألا ندع للمتحمسين المتحضرين بالحضارة الغربية يلقون بأنفسهم وبغيرهم من المواطنين في أحضان الغرب بغير تفكير ولا روية ؛ بل يجب — ولا يزال في الوقت والجهد متسع — أن نأخذ الأمر بكثير من الحذر ، وأن نصد تيار المدنية الغربية الجارف ما استطعنا إلى صده سبيلا ، حتى يتيسر لنا أن نأخذ منها الأصلح ونبعث مدنية شرقية صالحة .

وبهذين الأمرين ، الحذر والتريث ، نسلم ونغنم .

عبد الله أمين

الحياة الأدبية في أندونيسيا

(بقية المنشور على صفحة ١٠)

الفولندي مكتبة الكاتب الأندونيسي ، فجاء لزيارته في منزله ، وحضر الرسام الأندونيسي ، ودخل الحجرة التي قاده إليها مضيفه ، وما هم بالجلوس سقط على الأرض ؛ لأن الكرسي الذي أراد الجلوس عليه لم يكن سوى صورة مرسومة لكرسي على الحائط ، فكتم الأندونيسي غيظه ، وبعد برهة خرج الفولندي من الغرفة لقضاء حاجة وترك نظارته على المكتب ، وانتهز الأندونيسي هذه الفرصة فرسم على زجاج النظارة صورة ذباب ، وعاد الفولندي وأخذ يتحدث إلى الأندونيسي في أمور شتى ، ثم أراد أن يطلع على شيء مما قاله ، فتناول كتاباً ثم أخذ نظارته ولكنه هزها ليطرد عنها الذباب ، ولكن الذباب العنيد لم يتحرك ، فاغتاظ وضرب بها المكتب فانكسرت ، وعلم الفولندي أنها صورة رسمتها ريشة الرسام الأندونيسي في بضع دقائق ، فأعجب بها أيما إعجاب ..!

أحمد طه الشرمي

مخاطرات «جل بلاس»

للكاتب الفرنسي René Le Sage

ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم

ولد الكاتب عام ١٦٦٨ ومات عام ١٧٤٧ . وقصته هذه مجموعة صور من الحياة جعلت منه علماً من أعلام الأدب البارزين . فقد صوّر فيها أهل أسبانيا جميعاً في مختلف حالاتهم .

كان (جل بلاس) بطل القصة شاباً في السابعة عشرة من عمره يوم أرسله أهله بعد أن أركبوه بغلا وزودوه بمال قليل ليلتحق بجامعة (سلمنقه) وليتم تعليمه وليجد بعد تخرجه منصباً يدر عليه إيراداً وفيراً .

ولكن صاحبنا لم يبلغ الجامعة بل سقط في عصابة اللصوص ، ومضى في ركاب الممثلين ، وسامر الندمان ، وصاحب المرابين ، وذلك كله في سلسلة طويلة من المخاطرات .

وقد عمل — على التعاقب — عند طبيب ، وعند سيدة من ذوات الأناقة ، وعند كبير الوزراء ، وكثيراً ما يعلو نجمه ثم يهوي .

وعاش هو حيناً عيشة البذخ والإسراف ، كما ذاق أحياناً مرارة الجوع والحرمان ، وفتحت له أبواب القصور كما فتحت له أبواب السجون .

وحوادث القصة لا تنتهي ، وهي أشبه القصص في تتابعها وتلاحق حلقاتها بقصص ألف ليلة وليلة .

وأبدع ما في القصة صدق انطباقها على الطبائع البشرية ، وما ملئت به جوانبها من مزاح لا ينقضي ، وسخرية لا تنتهي .

ومن العجيب أن مؤلف القصة كان رجلاً فرنسياً لم ير البلاد الإسبانية أبداً ، ولكنه درس الأدب الأسباني فأحبه ، فأخرج هذه القصة إسبانية الروح والطعم ، حتى لقد اتهمه واحد من الكتاب الإسبانيين بأنه سارق للقصة لا كاتب لها .

وقد كتب الكاتب قصته هذه في عشرين عاماً ، إذ قد ظهر الجزءان الأولان عام ١٧١٥ ، ثم ظهر الجزء الأخير عام ١٧٣٥ ، وقد ترجمت القصة إلى لغات كثيرة .

قال الكاتب :

كان (جل بلاس) وحيد والده الجندي الشيخ ، وكان قد تعلم على يدي عمه القسيس قليلاً من علم المنطق ، وأثارة من اللغتين اللاتينية والإغريقية ، ثم أرسل وهو في السابعة عشرة من عمره إلى جامعة (سلمنقه) ليدرس اللاهوت ، ولكنه سرعان ما وقع بين أيدي جماعة من قطاع الطريق فأسروه ، وأخذوا بغله وماله .

وكان بين زميلاته السجناء سيدة من ذوات الثراء (دونا منسيا) فلما أطلقها وسهل لها سبيل الهرب منحته خاتماً من الألماس كما منحته ألف قطعة من النقود الذهبية ، وسرعان ما اتخذ لنفسه خطة جديدة في الحياة ، فعقد العزم على أن يجرب حظه في مدينة (مدريد) فاشترى ملابس زاهية ، واتخذ لنفسه خادماً اسمه (لاميلا) .

ووصل هو وغلامه بعد يومين إلى مدينة (بلد الوليد) وهناك لقي (دونا كاميلا) التي قدمت إليه بوصفها بنت عمة (دونا منسيا) ثم دعته إلى بيتها الفخم ، وهناك أدبت له مأدبة وصحبه في زمرة من أوتوا الملاحة والحسن ، ثم أعطته خاتماً ثميناً من الياقوت فأخذ خاتمه الألماس ، وفي الصباح ألفى نفسه في البيت وحيداً ، وألفى متاعه وماله ونقوده وقد ضاعت كلها .

والسر في هذا أن خادمه (لاميلا) كان لصاً ، فاستأجر هو وإخوان له من أصحاب الخدعة والحيلة البيت لمدة أسبوع ، وذلك ليخدعوا صاحبنا ، أما الخاتم ذو الفص من الياقوت فكان زائفاً .

وبينما كان (جل بلاس) يسير في الطريق ساهماً نادماً يعض اليدين ، لقي واحداً من لداته في المدرسة اسمه (فابريشيو) الذي سعى سعيه فألحقه كاتم سر للطبيب الشهير الدكتور «سانجرادو» الذي علّم (جل بلاس) طريقته في مداواة أمراض الناس بالفصد وبجرعات من الماء الساخن .

وكان بين مرضاه (كاميلا) فاسترجع منها خاتمه الألماس كما أخذ منها جواهرها وحليها ، وذلك بأن ألبس شخصاً من أصحابه ملابس رجال الشرطة ، موهماً إياها أنه سيلقي القبض عليها .

وعالج (جل بلاس) فتاة أخرى ولكنها لقيت حتفها في يديه ، فرأى لزاماً عليه أن يفرّ من وجه خطيب الفتاة .

ثم احترف في أثناء هروبه مختلف الحرف ، فعمل وصيفاً بعد أن بدد ماله في صحبة جماعة من الممثلين والممثلات . ثم عمل خادماً في بيت رجل من الأطباء كان في شبابه داعراً . واسمه (دون فنسنت دي جوزمان) وكان لهذا الفاجر بنت مليحة وسيمة اسمها (أورورا) ما لبث أن مات عنها.

وخيل إلى (جل بلاس) أن (أورورا) قد شغفت به حباً ، ولكن الصحيح أن قلبها قد علق بحب فتى نبيل اسمه (دون لوى باشيكو) كان غافلاً عن حبها له ، فعقدت (أورورا) العزم على أن تلحق به في (سلمنقه) حيث كان يتلقى العلم ، وأخذت في صحبتها (جل بلاس) كما أخذت وصيفتها.

وفي (سلمنقه) اتخذت لنفسها بيتين كانت تبدو في أحدهما في زي الرجال متسمية باسم (دون فليكس) ، وكانت تعيش في البيت الآخر عيشة فتاة.

وكسبت (أورورا) على أنها (دون فليكس) ود (دون لوى) كصاحب من أصحاب اللهو والملاهي ، وأعدت العدة ليتلاقى هو وبنت خالتها (أورورا) فأنبأ (دون لوى) صاحبه المزعوم (دون فليكس) أنه لن يتزوج إلا (أورورا) ، وعندئذ أزاح (فليكس) القناع المستعار.

وما مضى أسبوعان حتى كانا زوجين ، وقد ذكرا (جل بلاس) وأجزلا له في العطاء ، ذلك أنه هو الذي مهد للزوجين سبيل اللقاء.

ثم عمل (جل بلاس) في خدمة سيدين آخرين في مدريد ، ثم سافر إلى (طليطلة) على أثر حادث له مع فتاة لقي فيه من العناء ما لقي . وفي الطريق إلى (طليطلة) صادق فارساً شاباً اسمه (دون ألفونسو) كان قد آواه من المطر في كهف من الكهوف.

وكان في الكهف ناسكان يتعبدان ، وقد تبين أنهما (لاميلا) وشريك له مستخفيان ، وكان الوصيف السابق لا مال عنده فاتخذا زي ضباط محاكم التفتيش ، واقتحما دار يهودي اسمه (صموئيل سيمون) كان قد ارتد عن دينه ، وكان ثرياً وفير المال ، بحجة أنهما جاءا ليفحصا عن أوراقه الخاصة.

وبذلك أصبح (دون ألفونسو) وصديقه (جل بلاس) يملك كل منهما من المال ألف قطعة ذهبية ، فسافرا إلى (طليطلة) وهناك تم الصلح بين (دون ألفونسو) وبين (الكونت بولان) الذي كان (دون ألفونسو) قد قتل ولده في مبارزة ، وزاد على ذلك أن زوج بنته ، فاستقرت (بدون ألفونسو) النوى ، وعاش عيشة هانئة سعيدة.

واعترافاً بجميل (جل بلاس) عمل (دون ألفونسو) على أن يلحقه بحاشية قريب من أقربائه هو رئيس أساقفة (غرناطة) ككاتم سر له.

وكان رئيس الأساقفة هذا قد ركبه الغرور ، وكان رجلاً بديناً مرحاً . وكان (جل بلاس) يثني على ما يلقيه رئيس الأساقفة من مواعظ وخطب ، وبالغ في ثنائه حتى غلب لب الرجل ، إلى أن جاء يوم انتابت فيه رئيس الأساقفة نوبة من الفالج فأصبح الرجل يهذي.

ولم يكن (جل بلاس) موفقاً حين قال لصاحبه إن خطبه ومواعظه قد أصبحت أسوأ من ذي قبل ، فكان جزاؤه على ذلك الحرمان والطرد.

ثم أصبح (جل بلاس) فإذا هو فقير معدم ، فدخل في خدمة إحدى الممثلات الخليعات ، وبذلك استطاع أن يعمل كاتم سر لعشيقة أحد النبلاء اسمه (مركيز دي ماريالفا) ، ولكن العشيقة قد كشفت فطرد مرة أخرى ، وعاد إلى مدريد ، وهناك بعد سلسلة من المغامرات كلها لا تصدق ، وإن كانت كلها تبعث على الابتسام ، صار صاحبنا سكرتيراً مساعداً (لدوق دي ليرما) الذي كان كبير وزراء الملك.

وهناك في وظيفته الجديدة عرف (جل بلاس) أن الإنسان يستطيع أن يحوز الثراء ، ويدفع جزاءه على أي عمل حقير يعمله ما دام في خدمة عظيم من العظماء.

وقد قال إن تجاربه وصحبته لمختلف طبقات الناس من لصوص وشرفاء ، ومن خليعين مستهترين ودجالين محتالين ، ومن شعراء وممثلين ، ومن أفاقين خبثاء ورجال طيبي القلب ، قد دلته على أن ذكاءه كان بالغاً ، وأن سلطانه كان قوياً ، وأن ما أوتيه من علم قليل قد أعانه وسدد خطواته.

وكان هذا القول قد أثار ثائرة الغرور عنده ، فهو رجل يسعى الناس إلى لقائه ، ويستعينون بجاهه ، وهو

(البقية على صفحة ٢٠)

المقالة فى يد الدكتور احمد زكى بك

للأستاذ محمود محمود

هذه كلمة لا نقصد بها أن نقدم الدكتور أحمد زكى بك إلى القراء ، فقد عرفوه من قبل على صفحات هذه المجلة وغير هذه المجلة ، وعرفوه فى كتبه ومؤلفاته عالماً وأديباً ، له طريقة ساحرة فى عرض العلم فى أسلوب أدبى . وله فضل كبير على الأدب العربى ، فقد زاد من ثروة اللغة بما نحت من لفظ وما اشتق من كلمات . كما أنه صاغ الأدب ، أو أدب العلم ، فى أسلوب جزل رصين ، أثر الصناعة الفنية فيه واضح ملموس . وكأنه صائغ يصوغ الذهب ، أو جوهرى يؤلف بين الجواهر ، فى صورة رائعة ومنظر يأخذ بالألباب .

لا نقصد أن نقدم الدكتور أحمد زكى بك ، فهو عن ذلك فى غنى ، وإنما نقصد أن ننوه بأحدث ما أخرجت له المطبعة العربية من كتب .

فى « ساعات السحر » يقدم لنا الدكتور ثمانياً وعشرين مقالة فى موضوعات شتى . وكلها خواطر ألمت فى الحياة والمجتمع ، جمعها المؤلف فى كتاب إرضاءً ما يحب ، ثم رأى أن يختار له عنواناً (ساعات السحر) ربطاً لخواطره بزمانها الذى كتبها فيه لما عز عليه أن يربطها بموضوع .

مقالة الدكتور أحمد زكى بك مقالة من الطراز الأول فى الآداب العالمية ، لا تقل قيمة فى ميزان النقد عن مقالة بيكن أو ستيل . فالمقالة فى معايير الأدب الرفيع يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع ، على شرط أن يجئ السخط فى نغمة هادئة خفيفة ، مصطبغاً بفكاهة لطيفة . وينبغى لكاتب المقالة الأدبية أن يكون لقارئه محدثاً لا معلماً . ولذا وجب أن يكون المقال على غير نسق من التنطق ، كما وجب أن يكون الأسلوب عذباً سلساً دفاقاً . وكاتب المقالة الأدبية على أصح صورها هو الذى تكفيه ظاهرة ضئيلة مما يعج به العالم من حوله ، فيأخذها نقطة ابتداء ، ثم يسلم نفسه إلى الأحلام يأخذ بعضها برقاب بعض دون أن يكون له أثر قوى فى استدعائها عن عمد وتدبير . ولا يجوز أن تبحث المقالة فى موضوع مجرد يصح أن يكون فصلاً فى كتاب أو بحثاً فى علم .

وبهذا القياس الأدبى الذى نستعيره من رأى الدكتور زكى نجيب محمود تكون مقالات الدكتور أحمد زكى بك أدباً خالصاً ، لولا أنه يتأنق أحياناً فى أسلوبه إلى حد الصناعة المتكلفة ، فلا يندفع القارئ مع الكاتب منساقاً بجرفه تيار الحديث ، كما ينبغى أن يكون أسلوب المقال . حتى إن الكاتب ليستهويه السجع أحياناً فيستخدمه فى غير موضعه .

ومن أجل هذا التأنق والتكلف فى الأسلوب جاءت بعض المقالات قصيرة ينقصها التدفق والإفاضة كمقال (حب الأوطان) . ومن أجل هذا كذلك كثرت العبارات التى يتركز فيها المعنى ، وهى ميزة كبرى فى الأساليب بمعيار النقد فى الآداب العربية وقيمة واضحة بمعيار النقد فى أدب الغرب . وذلك كقول الكاتب : « لك من دفء الليل ما أغنى عن دفء النصل » .

ولعل من خير الأمثلة للمقالة الأدبية التى تبلغ أقصى حدود الإجادة بمعيار النقد الحديث المقالة التى عنوانها : (خواطر عند الحلاق) . فقد أثار دكان الحلاق عند أديبنا خواطر سامية ، تضرب فى صميم الحياة وطبائع الناس ، والأديب الحق هو الذى يستمد من أتفه الحوادث أعظم العبر : « ونظرت إلى يسارى فوجدت رجلاً أصلع ، له لحية حجبت وجهه . خطأ بسيط فى التوزيع أنتج وجهاً كرأس ورأساً كوجه . وأخذت أحاسب نفسى فى سوء التوزيع وعلله ، وما جره على الناس من بلايا . وذهب بى الفكر فى هذه الناحية بعيداً . ذهب بى إلى سوء توزيع المؤن فى حرب ، وذهب بى إلى سوء توزيع الثروة فى سلم وحرب ، وذهب بى إلى تلك المبادئ الجديدة التى تريد أن تهدم ما نحن فيه ، فذكرت بها الروس . ومن الروس عدت من جديد إلى ذكر الأصلع فعلمت أن الفكر ، كالأرض ، دوار » .

وفى مقالات الدكتور زكى فلسفة عملية يصح أن يتخذها شباب اليوم دستوراً لهم فى الحياة . ففى أولى مقالات

ARCHIVE

الكتاب (يعجبني الشاب إذا ...) يقول: «فإن كان العمل نغماً ووزناً أمشي في النغم والوزن. وإن كان انبطاحاً في الأرض تمرغ في تراب الأرض، وإن كان جماراً وعفاراً، استنشق الأغبرة، ولم يشح بوجهه عن الأغبرة» ثم يقول: «ويعجبني الشاب أن يكون مجدداً ومتجدداً».

غير أن الدكتور لا يرى أن يندفع المرء في سبيل التجديد إلى حد إنكار الماضي والقديم، فيفرد في كتابه مقالاً للدفاع عن القديم، ولم يخش أن يقال عنه رجعي ذو رأي عتيق، بل «إن الشيء القديم قد يحسن، ولا يستطيع فوات الزمن أن يغير من حسنه، والشيء الحديث قد يسوء، ولا تستطيع حداثته أن تقلل من سوئه. وأكثر أصول الحياة ثابت، لا يتغير مع الزمان».

والكاتب طموح لا ترضيه القناعة، ينصح القارئ أن يطلب الكثير الخطير «وأنا أعيذك أن تسرق لأنك في حاجة إلى ما تسرق، فهذه سرقة تأباها النفس، وأنا لا أريدك أن تكون عافياً في سبيلك إلى العلا!». ولا يحب الرجل يخشى دنياه، فلولا أقوام آثروا التعب على الراحة، وقلق الحياة على استقرارها، ما كان في الدنيا تجديد، ولا كان لبني الناس تقدم. وهو يرى أن الحياة حلو ومر، وأنه لا ينبغي أن نستشعر الخيبة بحسب صدمة الشباب في الحياة، أو أن نلوم الناس على ما يصيبنا من عثار، أو أن نبحث عن فلسفة نتوارى فيها ونرقد تحت ظلالها الوريفة البارزة، أو أن ننحنى في شعر أو أدب. وإنما الدنيا لا تؤخذ إلا غلاباً واغتصاباً.

ويدرك الكاتب ما رُكِّب في خلق الله من ضعف في النفوس، حتى كبارهم وزعمائهم، فلكل منهم عيبه ونقيصته «ولقد أعرف كبيراً أو زعيماً، وأسمع منه، وأقرأ عنه، فأرى في ثنايا كل هذا عثار الرجل الذي خلق من طين، وحمأ مسنون».

ويتعلم من الحمار الحكمة. فكانا كذلك الحمار الذي علقت بعنقه حزمة ورآها تتأرجح أمام عينيه فأسرع في الخطو لينالها، ولكنها لا تقترب: «إنه كلما أسرع أسرعت وكلما أبطأ أبطأت، والمسافة بين فمه وبينها دائماً واحدة، ولكنه ظل يدأب».

وهو يتعطش إلى الحقيقة، غير أنه لا يرى إليها سبيلاً. وفي بحثه عن الحقيقة يدرك بعين الأديب النافذة ما لا تدركه عامة الناس. يدرك أن الاستقامة اعوجاج وشذوذ، وأن القناعة في الزحام تزحم صاحبها إلى الموقف الأخير، والأمانة ميراثها الفقر، والصدق جزاؤه التأفف والكراهة: «وأنت إذا أردت أن تربح طلبت من الشر جليله، وعفت حقيره، فالشر الضخم مهيب، والشر الضئيل الحقير صاحبه مكشوف مغلوب. إن السرقة مفضوحة معيبة، إن اختلست رغيفاً، ولكنها غير ذلك إذا هي اختلست، أسهماً، في سوق القلال بألف ألف رغيف».

ومن أروع ما في الكتاب مقال (الكرة التي تحمل فوق عنقك)! ففيها يرى الكاتب أن كلا منا برأسه ثقل، بل أثقال تميل به: «والثقل قد يكون في الرأس عن يمين فيميل بالفكر إلى يمين. والثقل قد يكون في الرأس إلى شمال فيميل بالفكر إلى شمال. وهو لا يكاد يجري في أحد على استقامة أبداً».

وما أكثر ما تضمن الكتاب من حكم في مقاله (علمتني الحياة) علمته الحياة أن الحياء المحض غير نافع إذا لم تدعمه ورائه صفاقة تظل دائماً على استعداد أن تبرز وتظهر، وعلمته «أن هؤلاء الذين ترى من صغار ومن كبار، ومن صاحب كوخ وصاحب قصر، وصاحب غنى وصاحب فقر، ومن ذي رتب وسلطان، وغير ذي رتب وسلطان، كل هؤلاء إذا أردت أن تسود فيهم، فانظر إذاً إليهم شزراً، وترصّ بهم الفرص لتوسعهم سباً وركلاً. وقد يكرهونك، ولكنهم يخافونك، وفي الخوف الإكبار، ومن خاف فأكبر، فعل فيه مركب النقص فتراجع لك وتقهقر». وقد خالط الناس صنوفاً وألواناً فلم يجد أحداً يمتاز في الحكمة على أحد بالقدر الذي توحي به الظواهر، ووجد أن أفرغ الأشياء الطبول. والدنيا عنده مقلوبة. بل قد يؤمن أن القضاء على الجد أنجح للمرء من ذكاء يصحبه تكاسل وتخاذل وارتخاء.

ويحاول الدكتور أن يرقي في قارئه الذوق السليم، فالأكل عنده فن وفلسفة، ومن حسن الذوق التناسب

في الثياب وفي الصحاب ، وفي اختيار الزوج ، والتوسط في الإنفاق ، فلا بذخ ولا إمساك .

ولا يعجبني منه رأيه في الجمال . فهو عنده يشكل إلى الضعف أكثر من شكله إلى القوة ، وهو في مظاهر المرض أفعل منه في مظاهر الصحة . وعندي أن الجمال صنو القوة ورفيق الصحة .

والأدباء فريقان ، فريق متشائم ، لا يرى إلى الإصلاح من سبيل ، وآخر متفائل ، يبسم للحياة ، ويتوقع لها أن تسير إلى الأحسن وإلى الأرقى دائماً . ومن هذا الفريق الثاني الدكتور ذكي . ففي مقاله (قلوب كبيرة) يقول : « وسألت من بعد هؤلاء أحباباً وصواحب ، عن القلوب الكبيرة ، ما هي ؟ ومن هي ؟ وخرجت من السؤال والجواب مقتنعاً بأن الدنيا لا تزال بخير ، وأنه لا يزال في الخلق لبعض النفوس عظمها وضخامتها ... ورجعت عن نفسي وعن الحياة راضياً . وزاد في رضاي أن حكيم الإغريق ، طلب الرجل قديماً ، ومصباحه في يده ، فلم يجده ، وطلبته أنا ، حديثاً ، وبغير مصباح ، فوجدته . ووجدت مع الرجال نساء » . وعلمته الحياة ألا يأس مع الحياة ، وأن الليل دائماً يعقبه نهار « وما وقعت في ضيق إلا انتظرت فرجاً ، ولا حل بي مرض إلا صبرت أنتظر الشفاء » .

***

هذه أمثلة يسيرة لما في الكتاب من حكمة وفلسفة ، ولا يغني القليل عن الكثير . وتكاد كل عبارة أن تكون موضع جمال في الفكر والصياغة . وليس (ساعات السحر) بالكتاب الذي يقرأ ثم يلقى . إنما هو من روائع الأدب وكنوزه التي ينبغي لكل صاحب مكتبة أن يقتنيها ليعود إلى قراءتها ، يلتمس عندها عزاء وسلوى ، كلما أصابه هم أو اعتراه قلق .

محمود محمود

مخاطرات « جل بلاس »

(بقية المنشور على صفحة ١٧)

ARCHIVE

رجل يأخذ راتباً ضخماً ، وأصبح يبالغ في [illegible] نفسه ، وأصبح شرهاً طماعاً .

ولكن صرح آماله قد انهار يوم قبض عليه بأمر الملك لأمر من الأمور التي لا تشرفه ، ثم حبس في سجن (شقوبيه) ، ثم أخلى سبيله بمسعى من ولي العهد ، اكتفاء بنفيه ومصادرة أمواله .

ولما عرف ذلك (دون ألفونسو) وهو الذي أصبح بفضل مساعي (جل بلاس) حاكماً على (بلنسية) أقطعه قطعة أرض صغيرة تقع في أرباض تلك المدينة ، ويومئذ عقد (جل بلاس) العزم على أن يزور مسقط رأسه ، وهناك وجد أباه يحتضر ووجد أمه قد أضر بها الجهد في تمريضه والسهر حول سريره ، ووجد عمه قد أصابه الهزال عصبى .

و (جل بلاس) وإن كان قد أقام جنازة والده بمظاهر البذخ والترف ، وإن كان قد جعل لوالدته راتباً سنوياً ، فإن القوم في المدينة كانوا عنه غير راضين لجفائه أهله وهجره لهم ذلك الهجر الطويل .

ولذلك لم ير صاحبنا بداً من أن يرحل عن الديار وأهلها لينجو بنفسه ، ولما عاد إلى (بلنسية) ألفى (دون ألفونسو) وقد حشا مزرعة صاحبنا بسبعة من الخدم فطرد أكثرهم توخياً للاقتصاد ، ثم عاش عيشة هادئة ، وتزوج فتاة اسمها (أنطونيا) هي بنت (دون باسيليو) أحد أجرائه . ولكن الحزن حل بساحته يوم ماتت زوجته وهي تضع حملها .

ثم تولى ولي العهد العرش . فلما أراد أن يرفع (جل بلاس) مكاناً علياً ، قال له هذا : إن كل ما أريد هو أن أعمل عملاً ليس فيه ما يغري على نقض العهود ، وكان جزاؤه أن عين أمين سر عند كبير الوزراء الذي أوكل إليه أمر تربية وريثه وابنه غير الشرعي .

ثم أصبح (جل بلاس) صاحب لقب ، ثم لحق بدوق (دي ليرما) محتلاً محله عند كبير الوزراء يوم غضب الملك على وزيره الأول .

فلما مات الدوق ورث عنه (جل بلاس) مالاً كثيراً ، وعاد إلى أرضه يزرعها ، وتزوج مرة أخرى ، وعاش عيشة هادئة يحوطه الإكبار والإجلال ، يقطع أيامه ولياليه بالسهر على تربية أولاده وتثقيفهم ، ويكتب مذكراته يبدي فيها رأيه في الحوادث والأشياء ، ويقص فيها أنباء مخاطراته ..

(عن الإنجليزية) مبارك إبراهيم



تماثيل الانسان من الحجر

فى عصور مصر الاولى

للدكتور محمد أنور شكرى

يرجع أقدم ما حفظ من قطع منحوتة من الحجر على شكل الإنسان إلى عهد نقادة الأولى . وهى قطع صغيرة من حجر جيرى أحمر أو من الحجر الصفيح (الاردواز) أو حجر الأمعز (steatite) ؛ وتقتصر على تمثيل الجزء الأعلى من جسم رجل بوجه عريض ولحية مدببة غالباً ، ولعلها بذلك كانت أشبه بالتمائم ، على نحو بعض القطع المنحوتة من العاج أو العظام . وكانت العينان ، وفى بعض الأحيان الحاجبان والثديان ، تطعم بمادة أخرى (شكل ١) .

ومنذ أواخر ما قبل الأسرات عمد المثال المصرى إلى صناعة التماثيل الكاملة للإنسان من الحجر . ففى إحدى المقابر فى « طرخان » عثر على تمثال صغير من الحجر الجيرى لشخص يركع على ساقه اليمنى وينصب ساقه اليسرى . وفى « أبو صير الملق » كشف عن تمثال صغير من حجر مائل للسواد ، لا يزيد طوله على ٧ر٥ سنتيمتر ، ويظن أنه لامرأة (شكل ٢) . وهو يمثلها برأس كبير ، ووجه عريض من أعلى ودقيق من أسفل ، ويداها على صدرها وساقاها مقوستان بينهما ثقب . وقد عثر أيضاً على حصاة طويلة ، يبدو أنها وضعت إلى جانب جثة الميت لتشابهها فى خطوطها الخارجية بجسم إنسان بذراعين تتدليان على الجانبين (شكل ٣) . ومن العلماء من يذهب إلى أنه ربما كانت الأحجار الطبيعية المماثلة قد أوحت إلى الإنسان بعمل التماثيل من الحجر ، غير أن فى قلة ما وجد فى مصر منها وتطور فن النحت فيها ما لا يؤيد مثل هذا الرأى بالنسبة للمصريين على الأقل .

طرق المثالون فى نحت التماثيل من الحجر فى أوائل عهد الأسرات بأحجامها [illegible] فى فن النحت فى كافة عهود مصر القديمة ، وقد أخذ بعضهم من الأوضاع والقواعد ما التزمه المثالون فى العهود التالية ...

على أن أهم تماثيل أواخر ما قبل الأسرات تمثالان فى متحف الأشموليان ، يمتاز أحدهما بمادته الثمينة وهى اللازورد وقد عثر عليه فى الكوم الأحمر (هيراكونبولس) . وهو يمثل امرأة عارية بشعر على شكل خصل صغيرة مجعدة ، على نحو شعور بعض صور الأشخاص على الصلايات ، ويداها على صدرها وقد مثلت جميع أصابع اليدين (شكل ٤) . وكانت العينان من مادة أخرى ، وليس من شك فى أنهما كانتا تضفيان على الوجه حياة ، مما يعتبر من مآثر الفنان المصرى الذى أدرك ما للعينين من أهمية فى تمثيل الإنسان . ومن الممكن ترسم بداية اهتمام الفنان المصرى بالعينين فى كثير من تماثيل العاج منذ حضارة البدارى وفى صور الأشخاص على بعض الصلايات ، وقد



(شكل ١)
قطعة من حجر الدهن
عليها رأس بلحية مشرّبة



(شكل ٢)
تمثال امرأة من
« أبو صير الملق »

يبلغ بذلك غايته من الأشكال في كثير من تماثيل النسوة القديمة. أما التمثال الثاني فهو من حجر أسود قاتم وطوله ٤٠ سنتيمتراً ، وهو يمثل رجلاً واقفاً وذراعاه إلى جانبيه ويداه



(شكل ٣)
حصاة طينية على شكل التمثال

مبسوطتان وساقاه جنباً إلى جنب لا يفصلهما غير حز طويل من أمام ومن خلف (شكل ٥) . والعينان واسعتان والأذنان كبيرتان ، تبرزان كثيراً من جانبي الرأس على نحو كثير من تماثيل الإنسان من العاج والحجر . ويبدو الرأس كأنه تشمله قلنسوة ملساء محبوكة تمتد على صفحتي الوجه



(شكل ٥) تمثال امرأة من اللازورد من الكوم الأحمر

وتحيط باللحية ؛ على أنه ربما كان ذلك يرجع إلى طريقة المثال في تمثيل شعر الرأس واللحية وخاصة إذا لاحظنا عناية صقل سطوح هذا التمثال ، مما يدل على تقديره للمادة التي صاغه منها وعلى شعوره بجمالها . وفي رشاقة القامة وحسن استدارة الكتفين وجمال انحدارهما ، وفي بساطة خطوط الجسم وبساطة تمثيل السطوح المختلفة بما يتفق وصلابة الحجر ، ما ينبئ أيضاً عن براعة المثال ومهارته ، كما أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

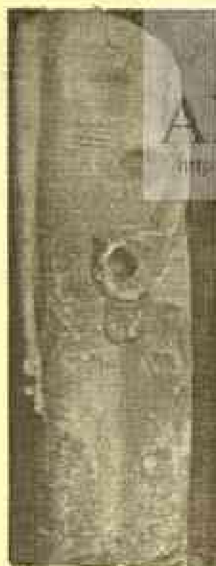
على أن صوره وتماثيله في العصور التالية تمثله دائماً رافعاً ذراعه اليمنى ؛ وعلى هذا يبدو أن السبب في تدلي الذراع اليمنى في هذه التماثيل إنما يرجع إلى طبيعة الحجر ورغبة المثال في ألا يتعرض بعض أجزاء التمثال للتلف السريع . وهي تمثله عارياً إلا من حزام يلتف حول الجسم عدة مرات ، بحيث يتدلى أحد طرفيه على الجانب الأيمن ، وقد نقشت عليه صور ورموز مختلفة تدل على مهارة فنية كبيرة (شكل ٧) . ومع هذا تبدو هذه التماثيل أشبه بأساطين طويلة من الحجر ، شكلت فيها تفاصيل الجسم باقتضاب . فالذراعان لا تكادان تبرزان من الجسم إلا قليلا ، ولا ينفصل الساقين غير حز طويل ، كما أن عظام الركبة لم تمثل بوضوح ، وهي أشبه بمثلث ذي خطوط بارزة حادة . وفي تمثيل هذا الإله بقامة



(شكل ٥)
تمثال رجل من حجر أسود أجيد صقل سطوحه

في تمثيل أظفار اليدين وعظام الركبة ما يشير إلى محاولة تمثيل الطبيعة في شيء من الصدق والإخلاص .

ولم يقتصر المثال على صناعة التماثيل الصغيرة من الأحجار ، وإنما عمد أيضاً في كثير من الأحيان إلى نحت التماثيل الكبيرة . فقد عثر في قفط على ثلاثة تماثيل من الحجر الجيري للإله « مين » ، تمثله واقفاً وساقاه ضماً إلى جنب وذراعه اليمنى إلى جانبه وقبضة اليد مثقوبة ، مما يدل على أنها كانت تقبض على المذبة أو السوط من مادة أخرى (شكل ٦) .



(شكل ٦)
تمثال للإله « مين » من الحجر الجيري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أطول كثيراً من القامة الطبيعية ما يكشف عن رغبة المثال في تمثيله في شكل يفوق كثيراً مقاييس الإنسان ، بما يعبر عما كان له من عظمة وجلال .

ومما يشبه تماثيل الإله « مين » في بساطة تشكيلها وقلة تفاصيلها تمثال من الحجر الجيري كشف عنه في معبد الكوم الأحمر وينقصه الرأس والقدمان . وهو يمثل شخصاً واقفاً يضع يده اليسرى على صدره بينما تتدلى ذراعه اليمنى إلى جانبه ، وقد أقربت قبضة اليد اليمنى بما يدل على أنها كانت تقبض على إحدى أمارات الشرف . وتبدو الساق اليسرى متقدمة قليلا إلى الأمام ، أما الركبتان فقد مثلتا في غير عناية ، ويحيط بالجسم رداء طويل يصل إلى الركبتين تقريباً ويترك صفحة الكتف اليمنى عارية .

وفي معبد الكوم الأحمر كشف أيضاً عن تمثالين من الحجر الجيري ، وجد أحدهما في حالة سيئة ، حتى إنه لم يمكن نقله من مكانه . أما التمثال الثاني فهو الآن في متحف القاهرة ، وهو يمثل صاحبه في حجم طبيعي جالساً على ساقه اليسرى وناصباً ساقه اليمنى ويداه مبسوطتان على ركبتيه . ووجهه يحيط به شعر مستعار قصير يغطي الأذنين ويصل حتى الكتفين . والشفتان غليظتان وعلى الشفة العليا تربط



(شكل ٧) بعض صور ورموز دقيقة على أحد تماثيل الإله « مين »



(شكل ٨) رأس من الحجر الجيري بملامح أجيد تمثيلها

يبرز عضل الشاربين كما في بعض التماثيل في العصور التالية . وبأسفل الجسم حزام يتدلى منه أعصاب بين الساقين على نحو ما يبدو في صور بعض الأشخاص على صلاية نعرمر وفي بعض نقوش الدولة القديمة . وفي خطوط التمثال رشاقة واستدارة ، بما يمثل تفاصيل الجسم في اقتضاب كثير ، ويكاد الرأس يستقر على الكتفين ، وبذلك يبدو التمثال مكتزاً متداخلا . عدا هذا لقد عثر أيضاً في هذا المعبد على رأس تمثال صغير من حجر جيري هش ، يمثل صاحبه بوجه مستدق ، وأنف أجيد تشكيله ، وشفتين بارزتين ، وشعر مستعار ، يتألف من خصل قصيرة مجعدة في صفوف رتيبة (شكل ٨) . وكانت العينان مطعمتين بمادة أخرى ، وتدل خطوط الوجه على تقدم ملحوظ يبشر بما سيكون عليه فن النحت في الحجر . وقد عثر أيضاً على عتبة باب من حجر صلد قاتم ، نحتت على شكل أسير قيدت ذراعاه خلف ظهره ، وذلك في خطوط بسيطة تتفق والغرض المعماري الذي صنعت من أجله . ومع هذا فقد عولجت ملامح الوجه في شيء

من الفصيل كما يتضح من العيون والأنف والشفتين البارزتين . وفي تمثيل الأسير على هذا النحو ما يثير ذكرى ما جاء في كتاب الموتى عن سحق الأعداء تحت أعتاب أبواب الجحيم .

وفي متحف كلية الجامعة في لندن تمثالان جالسان من الحجر الجيري قيل عنهما إنهما أيضاً من معبد السكوم الأحمر وإنهما يمثلان ملكاً وملكة . وتمثال الملك يمثله برداء طويل ويده اليسرى على صدره واليمنى على ركبته ، وعلى رأسه قلنسوة تشبه القلنسوة الملكية في العصور التالية . والعينان واسعتان وأشفارهما بارزة ، ولم تمثل ملامح الوجه بعناية . ويبدو من تمثال الملكة أنه يمثلها جالسة أيضاً ، وعلى ذلك يعتبر هذان التمثالان أقدم التماثيل الجالسة . وقد وجد هذا الوضع سبيله فيما بعد إلى كثير من تماثيل الملوك والأفراد . وتمثال الملكة يمثلها وقد جمعت شعرها في ضفيرتين تتدليان على صدرها . على أنه أمكن لمتحف القاهرة حديثاً اقتناء تمثال يدل نحته على عناية أوفى بتمثيل ملامح الوجه وعلى الرأس شعر مستعار يشبه كثيراً الشعر في تماثيل الإلهة حاتحور وتماثيل بعض ملكات الدولة الوسطى .

يتضح من هذا كله أنه على كثرة ما كشف عنه حتى الآن من مختلف آثار ما قبل الأسرات ، فإن ما حفظ في القطع المنحوتة من الحجر على شكل الإنسان لا يعدو بضع قطع قليلة ، وقد كانت في بداية الأمر من حجم ضئيل وشكل بدائي ، مما يدل على أنه لم يكن للحجر إذ ذاك شأن يذكر في فن النحت . ومنذ أواخر ما قبل الأسرات أخذ المثال يتحسس طريقه إلى استخدام الحجر في صناعة التماثيل الكاملة للإنسان ، تغريه بذلك صلابة مادته ورغبته في متانة التمثال وكبر حجمه ، مما يرضي غايات عصره ومطالب العقائد السائدة . على أنه وإن كانت هذه التماثيل تمتاز ببساطة سطوحها وأشكالها ، إلا أنها في مجموعها تبدو ضخمة ثابتة ، فالرءوس تزود الكتفين بثقلها ولا تكاد تنفصل منها ، كما أن أجزاء الجسم يتداخل بعضها في بعض بحيث لا تكاد الأعضاء تتجرد عن الجسد .

وقد أدى هذا إلى القول بأن المثال لم يكن قد وفق بعد إلى حل مرض للمصاعب الصناعية في نحت الحجر . غير أنه مما يضعف هذا الرأي ما تدل عليه الأواني من الأحجار من قبل الأسرات وبداية عهد الأسرات من مهارة فائقة وقدرة كبيرة على صناعة الأحجار الصلبة ، وخبرة وافية بطبيعتها . فإذا قيل على سبيل الافتراض إن المصاعب الصناعية في صناعة الأواني من الحجر تختلف عنها في نحت التماثيل ، فإنه يلاحظ أن ما حفظ من تماثيل الحيوان من هذه العهود يدل على كفاءة صناعية كبيرة في نحت الحجر الصلب . ولا مجال للظن بأن القدرة الصناعية التي يقتضيها نحت الحجر تختلف في تماثيل الإنسان عنها في تماثيل الحيوان . ولعله مما يعين على استكناه الأسباب الحقيقية ما يتجلى في تماثيل الإنسان من الأحجار ، وخاصة ما كان منها من حجم كبير ، من حذر شديد وحرص قوي على ألا يتعرض بعض أجزاء التمثال للكسر . ويؤيد هذا ما يلاحظ من أن تماثيل الإنسان من الأحجار الصلبة أكثر إتقاناً من أغلب تماثيل الإنسان من الحجر الجيري الأحمر . فهي على رشاقة مادتها تبدو في سطوحها العامة أكثر جساوة ، بحيث لا تكاد تتخلص من كتلة الحجر التي صيغت منها إلا قليلا .

وكما أنه لا يصح الاعتماد على هذه التماثيل للحكم على القدرة الصناعية للمثال ، فإنه لا يصح الاعتماد عليها كذلك في تقدير كفاءته الفنية دون حساب لظروفه وأغراضه ، فتماثيل الإنسان من العاج في ذلك العهد تدل على كفاءة فنية ممتازة ، وما نظن أنه قد اختص بصناعتها فريق دون غيره من المثالين . ومهما يكن من أمر فقد طرق المثالون في نحت التماثيل من الحجر في أوائل عهد الأسرات باباً جديداً ، كان له أكبر الأثر في فن النحت في كافة عصور مصر القديمة ، وقد اتخذ بعضهم من الأوضاع والقواعد ما التزمه المثالون في العهود التالية ، ومنهم من خطا بفن النحت في الحجر خطوات موفقة تبشر بما سيكون عليه فيما بعد نحت التماثيل من الحجر .

محمد أنور شكري

ARCHIVE



نقد الكتب

حول كتاب «هذا هو الاسلام»

تأليف الأستاذ عبد القادر العباوى

للأستاذ أنور الجندى

لست أدرى ، أهو من علامات النضج والنهضة والحيوية ، أن تظهر مؤلفات كثيرة متنوعة ، لقادة الفكر ، أو لشبابه ، فى مختلف الدراسات والموضوعات ، الجديدة النافعة الحيوية ، ثم ينقضى وقت طويل ، دون أن نقرأ فصلا من الفصول فى نقد هذه المؤلفات ، أو درسها ، أم أن ذلك من علامات الركود والضعف والتكاسل العقلى الرتيب ...

ويقينى أن الصحافة اليومية ، السريعة العجلى ، هى التى جنت على الأدب والنقد ، معاً ، فقد أصبح يكفى صاحب الرسالة ، أو مؤلف الكتاب ، بأن يكتب له هذا المحرر ، أو ذاك ، كلمة ثناء .. فى بضعة سطور ، ثم يمضى ..

وأصبح النقد الأدبى كريهاً إلى نفوس المؤلفين ، لأنه ينتقص من أقدارهم ، ويغض من قيمة إنتاجهم .. ونقاد الأدب ، هم الآخرون ، آثروا السلامة ، وقنعوا بالصمت ، ولاذوا بالجمود ، فخفت روح النقد التى كانت قوية عارمة فياضة ، يشعر كل كاتب أن لها سيفاً مصلتاً ، وقوة مرهوبة ، ومبضعاً جباراً ، فيحسن حين يكتب ، ويراجع ويبحث ، ويطيل المراجعة والبحث ، قبل أن يطلع على الجمهور بكتاباته وآرائه ..

ومن الكتب التى ظهرت فى عام ١٩٥٠ ، والتى وقف النقاد منها موقف الجمود والصمت ، كتاب الأستاذ العباوى « هـذا هو الإسلام .. » والواقع أن هذا الكتاب خليق بالنقد والبحث ، فهو يحمل حملة قاسية على الصوفية ورجال الدين والجماعات الدينية ، ويقدم خلاصات واضحة ، تدل على سعة الاطلاع ، وعلى البحث العميق ، لمختلف ما كتب عن الإسلام والدين والروحية والحضارة ، سواء ما كتب فى الشرق أو فى الغرب .

والأستاذ العباوى من شباب المدرسة الحديثة ، فهو إذاً يلفت النظر حين يتحدث عن الإسلام ، ويرغب فى الإصلاح بطابع روح النهضة ، الغيور ، الواعية .

وهو إلى ذلك قد أوتى وسائل الطبع والنشر كما أوتى وسائل التأليف والبحث ، سواء ، وإن كان لى أن أقول شيئاً ، فإننى ألفت نظر الأستاذ الجندى إلى المشتغلين بأمور الإصلاح والنهضة فى البلاد العربية ، أن يطالعوا هذا الكتاب وأن يتساءلوا القول فيما أثار مؤلفه من المسائل والآراء . وقد علمت أن الأستاذ عبد المتعال الصعيدى قد قرأ هذا الكتاب ، وهو عالم من علماء الإسلام الأجلاء ، وإنا لحريصون أن نسمع رأيه ، كما نحب أن نسمع رأى من يهمهم شأن البحث فى النهضة والإصلاح فى الشرق الإسلامى ..

المؤلف عذره عندنا ، أنه شاب مثقف ، تتلمذ على الأدب الحديث ، فإذا جاء ليتكلم اليوم فى الإسلام وعن أسباب تأخر المسلمين ووسائل النهوض ، كان عليه أن يتمهل ، ويمحص ، وأن يطيل التأمل والنظر قبل أن يقول كلمته .

لست أشك فى أن الدراسات التى عرض لها المؤلف عن الإسلام والمسيحية واليهودية ، وعوامل ازدهار الإسلام وعرضه للحاضر القائم ، والمجتمعات الغربية والشرقية والفلسفات والنظريات الأوربية فى الوجودية والروحية وفلسفة الأديان ، لست أشك أن ذلك كله يدل على علم

زيارة لجزيرة الملك

وسط نهر النيل قبالة مدينة أسوان

قصدنا الجزيرة في زورق
فخالطهم حلاوة كالثمر

وقد ولَّد الصبح شمس لنا
جلالٌ وسرورٌ عظيم الأثر

شققنا الغدير بشاطئيه لنا
فلاح على جانبيها الغرر

بنا اهتزت الفلك في نشوة
كأن الغدير بنا قد سكر

وصافح أوجهنا ما النسيم
فأسكرنا بهواء العطر

فلولاك يا نيل ما كان حسنٌ
بمصر ولا كان ذاك الزهر

ولا كان روضٌ ولا بهجةٌ
ولا رقدةٌ في ظلال الشجر

عبرنا العباب إلى أن وصلنا
جزيرة ملك عظيم الخطر

مليكٌ تحييه كلُّ صباح
وتذكره في ليالي السمر

مشيئةُ مصر في حبه
(فاروق) صبح الحمى والبصر

كأن الكنانة في حسنها
حديقتنا وهو فيها الثمر

كأن الجزيرة قد أشبهت
على جبهة النهر إحدى الطرر

زمردةٌ فوق فضة ماء
تموج فيها نضارٌ بهر

تريك الحياة بخضرتها
إذا ما شعاعُ ذكاء ظهر

فيا حسنها حين يأتي الربيعُ
ويا حسنها حين يبدو القمر

(سنا) مصطفى حسن القبطان

كأس من النور

« مهداة إلى الشاعر . م »

هات الكئوس وناجي القلب واسقيه
والعزف بقيثارك المحبوب تحييه

كأس من النور لم تفتأ تغازلني
والروح ظمأى لفيض من معانيه

يا هذه الكأس جودي بالشعر لنا
فإن نورك روح مزجها فيه

روح هي الفلك والأنوار سبحها
والكأس مزدانة بالحسن توحيه

كأس الهوى لا يحظى بشربها
إلا الذي ذاق شعر الحب من فيه

لا يعلم الجسد من كانت منيته
فقد الشعور لمن بالكأس يسقيه

روحي إذا غبت عني فارقت جسدي
يا أنت كأسي التي أحيا بما فيه

لا تظهري الشدة إن الصد يقتلني
وأنقذي القلب باللقيا وحييه

قلبي وقلبك قد صارا على جسدي
قلبي صبور ولكن أنت تبكيه

رفقاً بقلبي فلا تطربك فرقته
وفرقة القلب سهم أنت تلقيه

عاز على الحر أن ينسى أحبته
وكيف ينسى الهوى من بات يزكيه

وكيف ينسى الهوى من روحه سبحت
في عالم الحب تحيا في معانيه

عبد الرحيم أحمد العراقي

عميق ، وعلى أن المؤلف قد شغل نفسه بالبحث شغلاً جماً ، ولكني لا أوافقه على كثير من آرائه عن مجتمعنا اليوم ، هذه الآراء التي أعتقد أن صاحبها كان يلبس ، وهو يكتبها ، منظاراً أسود قاتماً ..

إن الواقع يشهد بأن الشرق كله يمضي في طريق النهضة بخطى واسعة ، وأنه يسير في طريق معبدة قويمة ، وخير ما أحيل عليه كاتبنا الشاب ، ذلك السفر الجليل الذي أصدره أستاذنا العلامة الكبير أحمد أمين بك « زعماء الإصلاح » فإن قرأه فسيقتنع بصدق ما أقول .

وبقي أن الأستاذ العداوي لو نظر إلى الشرق بروح المصلح قبل أن ينظر بروح الفيلسوف لاقتنع أننا نمضي إلى أشكال النهضة في قوة ومضاء ..

أنور الجندي



قارع الناقوس الهرم

للكاتب الروسي فلاديمير كورولنكو

ترجمة الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

أخذ الظلام يزحف بجيوشه، وأطبق على القرية الصغيرة الراقدة على مقربة من النهر بجوار غابة الصنوبر، في إحدى ليالي الربيع، وقد ازداد الشجر حلكة من ضباب الأرض المتصاعد، فيملأ الفضاء الرحب ظلاً لازوردياً. كان كل شيء هنا كئيباً حزيناً. وكانت القرية هاجعة في هدوء.

وبعثت الأكواخ البالية القائمة وأجمة الغاب والأدغال الأنوار هنا وهناك. وكنت تسمع بين الفينة والفينة صرير باب أو نباح كلب سرعان ما يكف عنه. ثم لا يلبث أن يبرز من أحشاء ظلام الغابة الزرقة شبح يمشي على قدميه أو آخر يمتطي جواداً أو ثالث تزعج به مركبته. هؤلاء كانوا أهل القرى المبعثرة بالغابة المنفردة، قاصدين إلى كنيستهم للاحتفال بعيد الربيع العظيم، تلك الكنيسة القائمة على هضبة بسيطة وسط القرية، وقد شمخ برج أجراسها القديم الناكن حتى ضل في السماء الزرقاء.

وصر الدرج تحت قدمي قارع الناقوس الهرم ميخيتش في طريقه إلى قبة النواقيس، ومصباحه الصغير المدلى من يده يتأرجح في الجو فيبدو كالنجم التائه في السماء. وجعل الكهل يرقى الدرج في مشقة، فقد كانت ساقاه تكادان تنهاران من تحته، وعيناه يتعذر عليهما تمييز ما حولهما... لقد كان الأولى برجل في سنه أن يكون في عداد الأموات، بيد أن الله باعد بينه وبين الموت. لقد دفن أولاده وحفدته ورافق الكهول والشبان إلى مرقدهم الأخير. ولكنه لا يزال على قيد الحياة. يوماً أشق ذلك على نفسه، وما أكثر ما استقبل من أعياد الربيع. إنه لا يستطيع أن يتذكر كم من المرات قد انتظر ساعته المحتومة في ذلك البرج ذاته، ولكن شاء الله مرة أخرى أن...

ووصل الكهل إلى قمة البرج، ثم اعتمد على الحاجز، ورمق بالنظر دور القرية في الظلام حول الكنيسة، وقد لاحت المقابر القديمة باسطة أذرعها وكأنها تحمي الأجداث، والتفت أوراقها هنا وهناك أشجار عارية. وحمل إليه النسيم الأريج الشذي للبراعم الصغيرة، يتصاعد من أسفل، فيجلب معه شعور الحزن من النوم السرمدي.

ترى أين يكون بعد عام؟ أيتسلق أيضاً هذا البرج وصل إلى هذا الارتفاع تحت الأجراس النحاسية ليوقظ الليل الهاجع برنينها المدوي، أو يكون راقداً في ركن مظلم من أركان القبر تحت أحد الصلبان؟ إنما يعلم ذلك الله!... إنه لعلى استعداد. أما في الوقت الحاضر فقد منحه الله سعادة استقبال العيد مرة أخرى.

وهمست شفتاه «الحمد لله!» تلك الجملة المعتادة، وقد تطلعت عيناه نحو السماء اللامعة بملايين النجوم المتلألئة، ثم رسم علامة الصليب.

* * *

وناداه صوت مرتجف لرجل كهل: «ميخيتش، يا ميخيتش!» كان الكهل يحدق إلى قمة الأجراس،

وقد ظللت يده عينيه الشاردتين الغائمتين من فرط الدموع ، محاولاً أن يرى ميخيتش .

ورد قارع الناقوس وهو ينظر إلى أسفل البرج قائلاً :

— ماذا تريد ؟ أنا هنا . ألا تستطيع أن تراني ؟

— كلا ، لا أستطيع . لا شك أن وقت دق النواقيس قد حان . ماذا تقول ؟

وتطلع الاثنان إلى النجوم . وتلألأت آلاف الأضواء في عنان السماء . وجعل ميخيتش يتأملها مفكراً .

— كلا ، لم يحن الوقت بعد ... إني أعرف متى ...

حقاً لقد كان يعرف . ولم يكن في حاجة إلى ما يدله على الوقت ، فنجوم الخالق ستخبره عندما .. إن السماء والأرض والسحاب الأبيض السابح في خفة ، والغابة الحالكة بدبيبها المبهم ، ومجرى الماء المتموج يغلفه الظلام — كل ذلك كان شيئاً مألوفاً عنده ، جزءاً من كيانه . إنه لم يقض حياته هنا سدى .

وتعالى الماضي السحيق أمامه : تذكر كيف صعد للمرة الأولى هذا البرج مع والده . يا إلهي ! ما أطول ما مضى من الزمن ! ومع ذلك لكأنه لم يمض به شيء !... وشاهد نفسه صبياً أشقر الشعر ، متألق العينين ، والريح [illegible] تلك التي ترتفع من غبار الطرقات ، إنما ريح غريبة تخفق جناحاها الصامتتان ، فتعبث بشعره ... وهناك في الطريق تحته ، سارت مخلوقات كالأقزام هنا وهناك ، وبدت أكواخ القرية صغيرة أمام ناظريه ، وتراجعت الغابة ، وخيل إليه أن رقعة الأرض المنبسطة البيضاوية التي تقوم عليها القرية قد أصبحت شاسعة ليس لها نهاية ...

وابتسم الرجل ذو الشعر الأشيب وهو يرنو إلى تلك الرقعة الصغيرة ثم قال : « ومع ذلك فها هي ذي بأجمعها ! » إنها سنة الحياة . فعندما يكون المرء في زهرة العمر لا يستطيع أن يرى نهايتها . أما الآن ، فها هي ذي ، كلها كأنها في راحة اليد ، من بدايتها إلى القبر الراقد هناك ، ذلك الذي تحتله الكنيسة في ركن المقبرة ... حسن ، الحمد لله ! لقد حان وقت الرقاد . إن ما حمله من أعباء الحياة قد حمله في شرف . وبدت له الأرض الرطبة وكأنها والدته ... وقريباً ، قريباً جداً !...

بيد أن الوقت قد أزف . وتطلع ميخيتش مرة أخرى إلى النجوم ، ثم خلع قلنسوته ، ورسم علامة الصليب ، وأخيراً أمسك بحبال النواقيس . وإن هي إلا برهة حتى ردد نسيم الليل صوت رنة أعقبتها أخرى ، فثالثة ، فرابعة ، الواحدة تلو الأخرى ، فملأت العشية المقدسة الساكنة وصبت فيها أصواتاً جهورية شادية .

* * *

وتوقفت النواقيس . وبدأت مراسيم الكنيسة . وكان ميخيتش قد اعتاد من قبل أن ينزل ويقف في ركن بجوار الباب يصلي ويسمع التراتيل . ولكنه ظل بالبرج في هذه المرة ، فقد كان من المتعذر عليه أن ينزل البرج ، فضلاً عما يشعر به من جهد وتعب . وجلس على المقعد ، ثم غرق في لجة من التفكير . وهو يصغي إلى رنات النحاس المتلاشية . فيم يفكر ؟ لقد تعذرت عليه الإجابة ... كان البرج سيء الإضاءة ، تلك المنبعثة من مصباح واهن الضوء . وكانت النواقيس مختفية في الظلام ولما تزل تهتز . وكان يتناهى إلى سمعه بين الفينة والفينة ترانيم خافتة منقولة من الكنيسة . وتلاعب نسيم الليل بالحبال المشدودة إلى ألسنة النواقيس الحديدية .

وترك الرجل الهرم رأسه يسقط على صدره ، وقد [illegible] في عقله الخيالات . وتذكر قائلاً : « إنهم الآن يرتلون » وخيل إليه أنه داخل الكنيسة يستمع إلى تراتيل الصبية . وشاهد الأب نعوم ، وقد فارق الحياة منذ زمن بعيد ، يقود الصلاة بجماعة . فترتفع وتنخفض رءوس مئات القرويين وكأنها أعواد الحنطة الناضجة أمام الريح ... ويرسم القرويون علامة الصليب ... كان كل هذا شيئاً مألوفاً لديه ، على الرغم من أنه قد ولى جميعه وانقضى ... ها هو ذا يلمح وجه والده القاسي . وهناك شقيقه يصلي في حرارة . وها هو نفسه واقف هناك ، يرفل في حلل الصحة والشباب ، وقد غمره أمل لا شعوري بالسعادة ... وأين كانت تلك السعادة ؟... وأومضت أفكار الرجل الهرم فترة ، فأضاءت مختلف أطوار حياته الماضية ؟..

ولاح له الشك والحزن والهم ... أين كانت هذه السعادة ؟ إن الشك لا بد أن يشق طريقه حتى في وجه كل شاب ، ويحني ظهره القوي ، ويعلمه كيف يتنهد كما تنهد أخوه الأكبر .

ها هي ذي حبيبته واقفة هناك بالجهة اليسرى بين النساء

القرية ، وقد أطرقت رأسها في خشوع . امرأة طيبة ، قلبها لله تسبح بحمده ! يا للمرأة المسكينة ، كم تحملت ... إن الإملاق الدائم والجهاد المستمر والأحزان التي لا مناص منها في حياة امرأة لابد أن تذوي جمالها ، وتفقد عيناها بهاءها . ثم يستقر بدلاً من الهدوء المألوف ، خوف مبهم من مصائب خافية ، يستقر استقراراً دائماً على وجهها ... حسن إذاً ، أين كانت سعادتها ؟ ... لقد بقي لها ولد واحد ، أملهما الوحيد ، يحبهما . بيد أنه كان أضعف من أن يتحمل أعاصير الحياة .

وها هو ذا عضو التركي راكع يصلي حتى يسامحه الله على الشموع النزرة التي دفعها الثامن بسببه . ورسم علامة الصليب في حرارة ثم خبط جبهته الأرض ... وغلى قلب ميخيلتش في صدره ، وعبث الغضب بوجوه القرويين ، وقد حلكت من الأحزان البشرية والشرور الإنسانية .

كان كل ذلك قد ولىّ وخلفه وراءه . وأصبح العالم كله الآن أمام عينيه محدوداً بهذا البرج ، حيث الريح تئن في الظلام ، والحبال تهتز ... وتمتم الرجل الهرم « ألا ! والهم عنك ! » ثم أطرق برأسه الأشيب وانحدرت الدموع على وجنتيه .

• • •

وصاح أحدهم من تحت : ميخيلتش ، يا ميخيلتش ! هل استسلمت للنوم ؟ . فأجاب الرجل الهرم وقد هب واقفاً على قدميه : ماذا ؟ يا إلهي ! أكنت نائماً حقاً ؟ لم يحدث لي مثل ذلك من قبل مطلقاً ! .

ويدين سريعتين مجربتين أمسك بالحبال . كان القرويون يسيرون تحته وكأنهم أسراب من النمل ، وكانت الأعلام تلمع بالحرير الموشى بالذهب ، وترفرف في الفضاء ... والتف الموكب بالكنيسة ، ثم سرعان ما وصل إلى سمع ميخيلتش النداء البهيج « للمسيح يقوم من بين الأموات ! » .

واستجاب قلب الكهل في حرارة إلى هذا النداء ... وبدت له الشموع المحترقة أكثر إضاءة ، والحشد أشد حركة ، والأعلام ، وقد دب فيها دبيب الحياة ، والريح المستيقظة وقد جمعت أمواج الصوت على جناحيها ، وسمت بها ، ثم مزجتها برنين النواقيس مرحبة بالعيد .

• • •

إنه لم يسبق لميخيلتش أن قرع مثل هذا من قبل ! .

وبدا كما لو أن قلب الرجل الهرم قد انتقل إلى النحاس الخالي من الحياة ، فأخذت النواقيس تشدو وتضحك وتبكي ، وتتعالى رنينها ، وقد اتحدت ألحانها في تيار متناسق منسجم ، ثم ترتفع إلى عنان سماء متألقة بآلاف النجوم ، وأخيراً يتدفق إلى الأرض في رعشة .

وأعلنت مختلف النواقيس بألحانها الثائرة « قيام المسيح ! » وبحت النية القديمة ترتجف وتهتز والريح تضرب بجناحيها وجه قارع الناقوس الشيخ وهي تردد « المسيح يقوم ! » .

ونسي القلب الهرم حياته الزاخرة بالهموم والأحزان . ونسي قارع الناقوس الشيخ أن حياته محصورة بالحدود الضيقة لقبة الجرس المظلمة ، وأنه وحيد في العالم وكأنه جذع شجرة قديمة حطمتها العاصفة ... واستمع إلى تلك الأصوات الثائرة الباكية تتصاعد إلى السماء ثم تسقط ثانية إلى الأرض المقفرة ، وخيل إليه أنه محاط بأولاده وحفدته ، وأنه يسمع أصواتهم المرحة البهجة ، أصوات الشباب والكهولة تتحد في خورس أغنية السعادة التي لم يتذوقها في حياته مطلقاً ... وسطع الكل والدموع تنحدر على خديه ، وقلبه يخفق في شدة ، كأنه يصور هذه السعادة ...

• • •

وأمضى الناس أسفل البرج إلى رنين الأجراس ، ثم قال بعضهم لبعض : إنه لم يسبق لميخيلتش أن قرع الأجراس في مثل هذه الجودة .

وعلى حين غرة ، صدر من الناقوس الكبير صوت مبهم ، وما لبث أن صمت . ثم أعقبه دوي الناقوس الأصغر في صوت متقطع ، ثم توقف كما لو كان عن خجل ، ليصغي إلى الصدى الكئيب للنبرة المترددة المتطاولة تتلاشى في الجو ...

وتهالك قارع الناقوس الشيخ ، وقد استنفد قواه جميعها ، ساقطاً على المقعد ، وانحدرت العبرتان الأخيرتان في بطء على وجنتيه الشاحبتين ...

« إيه ، يامن هناك ، أرسلوا بديلا . فقد دق قارع الناقوس الشيخ آخر دقاته » ...

محمد أمين عبد الوهاب

مطبعة لجنة البيان العربي للترجمة والنشر

ARCHIVE
archivebeta.sakhrit.com